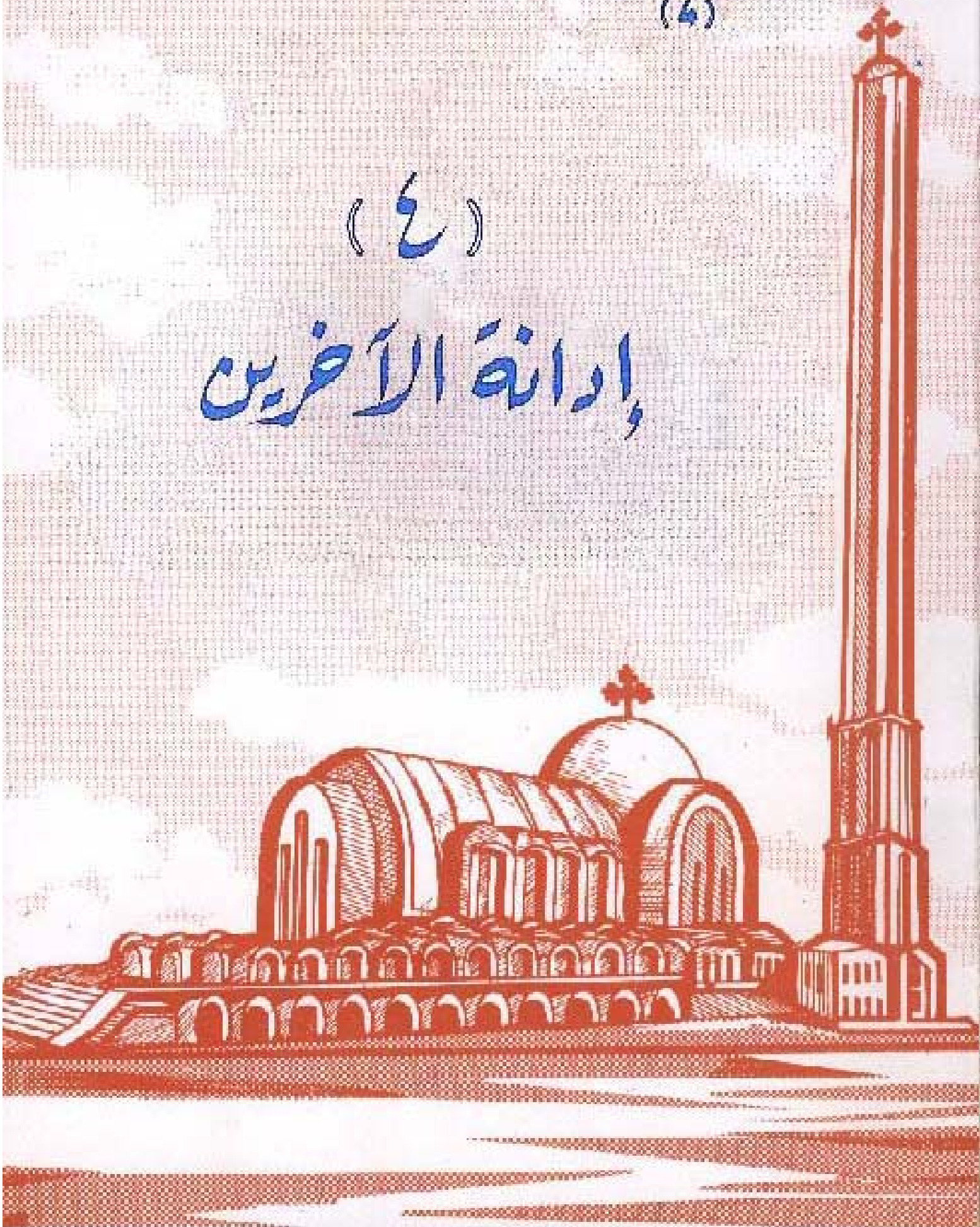


الكتاب السنوي الثالث
سلسلة المحررات الروحية
Spiritual Warfare
(٤)

(٤)

إدانة الآخرين





عمارة عمارة
البابا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية بطريرك الكرازة المرقسية

البابا شنودة الثالث
سلسلة الحروب الروحية

٤

Spiritual Warfare
(4)

« ٤ »

إدانة الآخرين

Judge Not Others

By H. H. Pope Shenouda 111

2nd Print

January 1990

Cairo

الطبعة الثانية

يناير ١٩٩٠

القاهرة

قصة هذا الكتاب

أصل هذا الكتاب يرجع إلى محاضرتين ألقيتهما سنة ١٩٦٥ في القاعة المرقسية بدير الأنبا رويس بالقاهرة عن إدانة الآخرين وأقوال الآباء فيها .

وتحدثت في هذا الموضوع أيضاً في محاضرتين أخريين ألقيتهما في الكاتدرائية المرقسية الكبرى في ٦٩/٣/٢١ ، ٦٩/٣/٢٨ .

ثم تعرضت لهذا الموضوع مرة أخرى ، خلال هذا العام (١٩٨٧) ، وأنا في مجال تفسير وشرح العظة على الجبل ، في (متى ٧ : ١ - ٥) . كما ألقى محاضرتين عن الإدانة في الكنيسة المرقسية الكبرى بالاسكندرية في يونيو ١٩٨٧ .

ومن هذا المزيج كله ، خرج هذا الكتاب الذي بين يديك .

أقدمه لك باعتباره الجزء الرابع من (سلسلة الحروب الروحية) . وقد صدر الجزء الثالث منذ شهرين عن (الغضب) .

وإن شاء الله حينما يصدر الجزء الثاني من كتاب (تأملات في العظة على الجبل) سنعرض لهذه النقطة باختصار . ومن يريد التوسع ، فليرجع إلى هذا الكتاب .

قال السيد المسيح " لا تدينوا لكي لا تدانوا . لأنكم بالدينونة التي بها تدينون ، تدانون .. " (متي ٧ : ١) .

وقال القديس بولس الرسول " من أنت الذي تدين عبد غيرك ؟ هو لمولاه يثبت أو يسقط ... " (رو ١٤ : ٤) .

وكرر القديس يعقوب الرسول نفس السؤال تقريباً ، فقال " من أنت يا من تدين غيرك " (يع ٤ : ١٢) . وقال أيضاً لا يذم بعضكم بعضاً أيها الأخوة . الذي يذم أخاه ويدين أخاه ، يذم الناموس ويدين الناموس ... " (يع ٤ : ١١)

فإلي أي مدي ، وبأي تفسير ، نفهم معنى إدانته الآخرين ؟

هل هي وصية نفهمها بمعنى مطلق ، بحيث لا يمكن أن نذكر كلمه سوء عنة إنسان ، مهما كانت الظروف، ومهما كان الشخص الخاطئ ؟ وهل الإدانة خاطئة في جميع الحالات ؟ أم أن هناك حالات تجوز فيها الإدانة أو تجب ؟ وأن كان كذلك ، فمتي تجوز الإدانة ؟ ولمن ؟

بل متى تكون الإدانة واجبة ؟

ومتى نخطئ إن كنا ندين غيرنا ؟

هذا ما نود أن نجيب عنه الآن

لَوْ أَنَّهُ غَيْرُ الْخَاطِئَةِ

- ١- المسئولية والرعاية .
- ٢- التمييز الطبيعي .
- ٣- مفهوم وصايا كتابية .
- ٤- إدانة الهرطقات والبدع .
- ٥- النصع والهداية والتوبيخ .
- ٦- النقد .
- ٧- إدانة النفس .
- من يبرئ المذنب .
- شروط الإدانة غير الخاطئة .
- لا تحكموا قبل الوقت .
- الحكم بالحق .

هناك حالات كثيرة تجوز فيها الإدانة ، ولا تكون خطية ، نذكر منها :

١- المسؤولية والرعاية

تجوز الإدانة حينما تصدر من مسئول أو صاحب سلطان

هناك أشخاص أقامهم الله بسلطان على غيرهم . من حقهم أن يدينوا من هم تحت سلطانهم ، ولا تنطبق عليهم الآية التي تقول « لا تدينوا لكي لا تدانوا » ..

وهؤلاء ليس من حقهم فقط أن يدينوا ، بل من واجبهم ...

بحيث أنهم يخطئون إن لم يدينوا من هم تحت سلطانهم .

من أمثلة هؤلاء : الأب والأم . وقد ائتمن الله الآباء والأمهات على تربية أولادهم . ومن حقهم أن يوبخوا أبناءهم على أخطائهم . وأن يقولوا للإبن « إن تصرفك هذا خاطيء ، وينبغي أن تتركه » . وإن لم يتركه قد يأخذ منهم عقوبة .

لاشك إنها إدانة ، ولكنها ليست خطية إدانة .

لأنها صادرة من شخص صرح له الله أن يدين ، بل أمره بذلك ، كجزء من تربيته لإبنه . بل إن الأب الذي يقصر في تربية إبنه ، ويهمل في تنشئته وتوجيهه ، ولا يدينه ويوبخه على أخطائه ، هذا الأب يعاقبه الله ...

ومثال ذلك العقوبة التي أوقعها الله على الكاهن .

كان أولاده يخطئون ... وسمع على الكاهن بذلك ، وأدانهم ، ولكن ليس بحزم ! قال لهم : « لماذا تعملون مثل هذه الأمور ؟ لأنى أسمع بأموركم الخبيثة من جميع هذا الشعب . لا يا بنى ، لأنه ليس حسناً الخبر الذى اسمع ... » ولم يسمعوا لصوت أبيهم » (١ صم ٢ : ٢٢ - ٢٥) .

وغضب الرب لأن على الكاهن تراخى في إدانة أولاده ، فقال « هوذا أنا فاعل أمراً فى إسرائيل ، كل من سمع به تظن أذناه . فى ذلك اليوم أقيم على على كل ما تكلمت به على بيته ... وقد أخبرته بأنى اقضى على بيته إلى الأبد ، من أجل الشر الذى

يعلم أن بنيه قد أوجبوا به اللعنة على أنفسهم ، ولم يردعهم » (١ صم ٣ : ١١ - ١٤) .

إذن الإدانة هنا واجب ملزم ، من يقصر فيه يعرض نفسه للعقوبة .

ليس فقط أن يدين الأب أولاده إن أخطأوا . بل أكثر من هذا أن « يردعهم » .
أى أن يمنعهم - بسلطان - من ارتكاب الخطأ ، ومن الاستمرار فيه ...

وما أكثر الوصايا التى أعطاها الله للآباء والأمهات لتأديب أولادهم . ومعها وصايا أخرى للأبناء أن يطيعوا آباءهم فى الرب ، لأن هذا حق (أف ٦ : ١) .

وما نقوله عن الأب الجسدى ، نقوله أيضاً عن الأب الروحى ، وعن الراعى
عموماً ...

ومن هنا أعطى الله للآباء الكهنة ، وللرعاة ، وللأنبياء ، واجباً هو إنذار الخطاة وإدانتهم . فقال « يا ابن آدم ، قد جعلتك رقيباً ... فاسمع الكلمة من فمى ، وانذرهم من قبلى . إذا قلت للشرير موتاً تموت ، وما أنذرته أنت ، ولا تكلمت إنذاراً للشرير من طريقه الرديئة لإحيائه ، فهذا الشرير يموت بإثمه ، أما دمه فمن يدك اطلبه »
(حز ٣ : ١٧ ، ١٨) .

إذن إنذار الخطاة وتوبيخهم وردعهم وإدانتهم وإدانة طرقهم للشرير ، ليست مجرد حق للآباء والرعاة ، بل كل ذلك واجب عليهم ، يدانون إن لم يقوموا به . ولكنهم يخلصون من الدينونة ، إن هم أدانوا هؤلاء الخطاة ، وأنذروهم من جهة نتيجة شر أفعالهم . وهكذا يكمل الرب وصيته فيقول « وإن أنت أنذرت الشرير ، ولم يرجع عن شره ، ولا عن طريقه الرديئة ، فإنه يموت بإثمه . أما أنت فقد نجيت نفسك » (حز ٣ : ١٩) .

ونفس الكلام نقوله عن المدرس مع تلاميذه ، ورئيس العمال مع مرؤوسيه ،
وأيضاً عن القاضى بالنسبة إلى المتهمين .

كل هؤلاء لهم الحق أن يدينوا من هم تحت سلطانهم ، فى نطاق اختصاصاتهم لا يتعدونها ، وفى حدود الواجب المناط بهم ، وفى مجال عملهم ومسئوليتهم . وفى الالتزام بالحق والعدل .

فإن قال المدرس لتلميذه إنه مهمل في أداء واجباته الدراسية، وإن قال رئيس العمل لأحد عماله إنه غير أمين في عمله. وإن قال القاضي إن هذا المتهم مذنب، لا يكون أحد من هؤلاء قد خالف وصية «لا تدينوا لكي لا تدانوا».

وإن سمع قول الرسول «من أنت يا من تدين غيرك» (يع ٤ : ١٢)، يجب «أنا المسئول عنه وعن عمله».

إنه يدين، وبسلطان. وفي عمله إدانة، ولكنها ليست خطية إدانة. لأن الإدانة هنا من حقه، بل هي من واجبه.

وإن قصر واحد من كل هذه الفئات في إدانة من هم تحت سلطانه، يرتبك العمل، ويفسد المجتمع، وتسود اللامبالاة

لذلك إن اجتمع كونسولتو أطباء لفحص مريض، وتشاوروا في تشخيص مرضه. فقال أحدهم إنه يشكو من كذا، وقال آخر إنه مريض بكذا، وقال ثالث إنه مصاب بكذا.. فهنا القصد التوصل إلى شفاء المريض، وليس القصد هو إساءة سمعته أو التشنيع به.. ولعل مما يشبه هذا تماماً ما ورد في (نسكيات باسيليوس):

سئل القديس باسيليوس الكبير عن الإدانة، فقال:

إذا كان المقامون على الأخوة يبحثون حالة أخ في المجمع، وتعرضوا لأخطائه وماذا يُعمل لأجل تقويمه، ولأجل سلامة المجمع من نتائج هذه الأخطاء، فلا تكون هذه خطية إدانة... بشرط أن يفحصوا أخطائه «في خوف الله».

وهذا الحق في الإدانة، أعطاه الرب للكنيسة:

فكما أعطاه سلطاناً أن تحل، أعطاه أيضاً سلطاناً أن تربط (متى ١٨ : ١٨). وأعطاه أن تفصل في الخصومات. ومن لم يسمع لها فيما تحكم به، يكون كالوثني والعشار (متى ١٨ : ١٧). فإن قالت الكنيسة لشخص إنه مخطيء، لا تكون قد وقعت في خطية إدانة، بل تكون قد أدانته بحق وبسلطان.

يوحنا المعمدان أدان الخطاة ووبخهم (متى ٣ : ٧). وبولس وبخ كثيرين منهم «الفلاطيون الأغبياء» (غل ٣ : ١). وأمر تلميذه تيموثاوس الأسقف أن يوبخ

ويبتهر ويعظ (٢: ٤). وقال له أيضاً «الذين يخطئون، وبخهم أمام الجميع، لكي يكون عند الباقيين خوف» (١: ٥: ٢٠).

بولس الرسول أدان خاطيء كورنثوس (١ كو ٥: ٥)، ووبخ أهل كورنثوس على أنهم لم يعزلوا الخبيث من بينهم (١ كو ٥: ١٣). وبطرس الرسول أدان حنانيا وسفيرا وحكم عليهما، بعد أن وصفهما بالكذب، وبالاتفاق على تجربة روح الرب (أع ٥: ٣-٩).

ولعلك تقول «أنا لست رسولاً ولا نبياً»... لك حق. إذن اعمل في حدود السلطان الذي وهب لك من الله، إن كنت صاحب سلطان.

اعمل في حدود مسئوليتك، مهما كانت ضيقة... على أن يكون ذلك بأسلوب روحى، كما سنشرح فيما سيأتى...

٢- التمييز الطبيعى

أحياناً تكون الإدانة شيئاً طبيعياً، مجرد تمييز للخطأ أو الشر.

فأنت مثلاً إن سمعت إنساناً يشتم، لا تستطيع أن تمنع نفسك من إدراك أن هذه شتيمة. وبالمثل إن رأيت رجلاً فى ثورة غضب وقد فقد أعصابه، وهكذا إن رأيت امرأة فى ملابس متبرجة غير لائقة.

وبالمثل إذا سمعت إنساناً يحلف بأقسام مغلظة، أو سمعت إنساناً يغنى أغاني عالمية، أو يقول فكاهات رديئة جداً من الناحية الأخلاقية، هل تستطيع أن أمنع نفسى من إدانة ما أسمع؟! هناك إذن إدانة تلقائية بحكم الضمير...

ينبغى أن نفهم الروحيات بطريقة سليمة بعيدة عن الوسوسة.

فعدم الإدانة ليس معناه أن أفقد الحكم الطبيعى على الأمور.

فقد وهب الله للإنسان ضميراً يميز به بين الخير والشر. وليس من صالح الإنسان أن يفقد التمييز.

إنه نور طبيعي يستطيع به أن يحكم على أعماله ، كما يحكم به على أعمال غيره ، مع فارق سنذكره فيما بعد... وإن فقد الإنسان هذا التمييز سوف تختل أمامه القيم والمبادئ ، ولا يدري ما يجب أن يكون ، وما لا يجب ...
وهكذا قال السيد الرب مرتين في العظة على الجبل :

« من ثمارهم تعرفونهم » (متى ٧ : ١٦ ، ٢٠) .

وشرح ذلك فقال « هل يجتنون من الشوك عنباً ، أو من الحسك تيناً ؟! هكذا كل شجرة جيدة تصنع ثماراً جيدة . وأما الشجرة الرديّة فتصنع أثماراً رديّة . لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثماراً رديّة . ولا شجرة رديّة أن تصنع أثماراً جيدة . إذن من ثمارهم تعرفونهم » (متى ٧ : ١٦ - ٢٠) .

فهل إذا رأينا الشوك فعرفنا أنه شوك ، وإن رأينا الثمر الرديء فعرفنا أنه ثمر رديء ، أنكون آنئذ واقعين في إدانة الآخرين ؟! كلا بلا شك ...

يقول القديس أوغسطينوس في تفسير هذه الآية (متى ٧ : ٧) .

هناك شجرة تعطى ثماراً رديّة ، وشجرة تعطى ثماراً جيدة . ولا يمكن أبداً للإنسان أن يخدع نفسه ، ويقول عن الرديء إنه جيد ، ولا عن الجيد إنه رديء . فمما لا شك فيه أن بعض الأمور واضحة جداً ، لا نستطيع أن نخدع أنفسنا فيها ...

ولعله من أجل هذا التمييز قال القديس بولس الرسول :

خطايا بعض الناس واضحة تتقدم إلى القضاء (١ تي ٥ : ٢٤) .

هذه الخطايا الواضحة لا ذنب لك إن أدركتها : من الطبيعي أنك سوف تشعر أن هناك خطأ يتقدم إلى القضاء . وفي نطاق هذا المستوى لا تكون قد أخطأت . إنما توجد ملاحظة لا بد أن نقدرها وهي :

هناك فرق بين إدانة العمل وإدانة الشخص :

فإن رأيت شخصاً سكراناً يتطوح في الطريق ، لا تستطيع أن تمنع نفسك من أن هذا خطأ . العمل خطأ ، أو الحادث أمامك خطأ . ولكن الشخص نفسه لا تستطيع أن

تدينه ، إلا إذا عرفت ظروفه ... ربما هناك من خدعه وأسكره . ربما شرب عن طريق الخطأ . وربما العكس . من يدري !؟

إذن التمييز شيء ، والحكم على الشخص شيء آخر .

كوني أسمع الشتيمة فأعرف أنها شتيمة ، هذا تمييز .

أما أن اسمعها ، فأقيم في ذهني محكمة لصاحبها ، وأقول إنه كذا وكذا ، ويستحق ... ويستحق ... فهنا يصبح الأمر إدانة ، لأنه انتقل من تمييز العمل والحكم التلقائي للضمير ، إلى الحكم على الشخص نفسه .

وإذا أخذت قصة هذا الإنسان موضوعاً لحكاياتي واحاديثي مع الناس ، لا أقول حيثئذ إنه مجرد تمييز طبيعي ، أو حكم تلقائي من الضمير . بل هنا أكون قد تطورت من إدانة الشخص إلى التشهير به . ولا شك أن كلا منهما خطيئة .

ومن جهة الخطايا الواضحة ، توجد أمور تبدو واضحة ، وهي على عكس ذلك ...

فإن رأيت شخصاً في الصوم يشرب كوباً من اللبن ، وقلت : هذا الإنسان محب للأكل وكاسر للصوم ولا شك أن هذه خطيئة واضحة تقدمه إلى القضاء !! (١٠ : ٥ : ٤) ... فربما تكون مخطئاً في حكمك . وقد يكون هذا الشخص مريضاً بقرحة في المعدة أو مرض آخر ، ويحتاج إلى اللبن كدواء . وقد وافق على أوامر الأطباء متغصباً من أجل صحته ... ولا يمكن أن يحكم عليه بأنه محب للطعام وكاسر للصوم ... وقد علق القديس على موضوع الأكل هذا ، فقال :

إن كل أنواع الطعام البشري يمكن أن تؤخذ بنية صالحة ... وبدون شهوة وبدون تمييز . وتذكر في ذلك قول القديس بولس الرسول :

لا يزدري من يأكل بمن لا يأكل . ولا يدن من لا يأكل من يأكل ، لأن الله قبله » (روم ١٤ : ٣) .

ويكمل القديس بولس الرسول كلامه فيقول « من أنت الذي تدين عبد غيرك !؟ هو لمولاه يشب أو يسقط . ولكنه سيثبت ، لأن الله قادر أن يشبهه » (روم ١٤ : ٤) .

أمثال هذه الأمور ليس من حق إنسان أن يحكم فيها . وهى ليست من الخطايا الواضحة التى تتقدم إلى القضاء . الخطايا الواضحة هى مثل الزنى والسرقة والاعتداء وأنواع النجاسات .

أما الأمور التى تتوقف على النية والقصد، فليس من حقنا أن نحكم عليها . الله وحده هو العارف بالنيات .

الله وحده هو فاحص القلوب ، وهو الذى يعرف القصد والدافع . ويستطيع أن يحكم إن كان هذا العمل صالحاً أم طالحاً ، مما لا تتوفر لنا معرفته .

نقطة أخرى نضيفها إلى عنصر التمييز وهى :

٣- مفهوم وصايا كتابية

وصايا وآيات تحمل الإدانة :

فهناك وصية فى الكتاب تقول لك « لا تستصحب غضوباً ، ومع رجل ساخط لا تحب » (أم ٢٢ : ٢٤) . فكيف يمكن أن تنفذ الوصية وتبعد عن صحبة الغضوبين ، إلا لو أدركت أن هذا الإنسان بالذات هو رجل غضوب ؟! فهل هذه إدانة ؟ كلا ، بل هى لون من التمييز ، تماماً كما تميز حفرة حتى لا تقع فيها .

ومثله قول الكتاب « المعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة » (١ كو ١٥ : ٢٣) . فكيف تبعد عن هذه المعاشرات ، إلا لو عرفت تماماً إنها ردية ؟ فهل هذه المعرفة إدانة ؟ كلا ، طبعاً ...

وبنفس المنطق نتكلم عن الوصية التى يحملها المزمور الأول « طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار ، وفى طريق الخطاة لم يقف ، وفى مجلس المستهزين لم يجلس » .

كيف يبعد عن هؤلاء الأشرار والخطاة والمستهزين ، إن لم يعرف أنهم كذلك ؟ فهل هذه المعرفة خطية إدانة ؟

كلا، بلا شك. مادام الأمر قد اقتصر على المعرفة والبعد. وحتى لو تدرج الأمر إلى نصح أصدقائك ومعارفك وأقربائك وتلاميذك في البعد عن هؤلاء لا تكون أيضاً قد أخطأت.

أتركهم يسقطون في حفرة وتقول «لا أريد أن أدين الحفرة»؟!!

هوذا الرسول يقول «نوصيكم أيها الأخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب، وليس حسب التعليم الذي أخذه منا» (٢ تس ٣ : ٦). فكيف تتجنب مثل هذا الأخ، إلا لو عرفت تماماً أنه «يسلك بلا ترتيب». فهل هذه المعرفة خطية إدانة؟! كلا، لأن خطايا بعض الناس واضحة.

وبالمثل الوصايا الخاصة بالبعد عن العثرات :

من المفروض أن يبعد عن العثرات كل إنسان روحى. ولكى يبعد عنها، لابد أن يعرف أنها عثرات. وليست في هذه المعرفة خطية إدانة. بل إن السيد المسيح يقول «إن كانت عينك اليمنى تعثر، فاقطعها والقها عنك...» (متى ٥ : ٢٩).

إن يوسف الصديق قد تعرض لإحدى هذه العثرات، فقال

كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطىء إلى الله؟! (تك ٣٩ : ٩).

وهنا نرى أن يوسف قد أدان هذا العمل، ووصفه بأنه شر عظيم وأنه خطأ نحو الله. ومع ذلك لم يدين المرأة الثانية، ولم يصفها بأية عبارة جارحة.

إذن إدانة العمل من حقنا. وهو نوع من التمييز الطبيعى لا خطأ فيه، ولا داعى للتعرض للأشخاص.

والوصايا الخاصة بالبعد عن العثرات مع إدانتها، ليست هى خاصة بالسلوكيات فقط، إنما أيضاً هناك العثرات الخاصة بالإيمان والتعليم والعقيدة وهذا يقودنا إلى نقطة هامة وهى.

٤- إدانة الهرطقة والبدع

يقول القديس يوحنا الرسول، وهو من أشهر الرسل بالمحبة: «إن كان أحد يأتيكم ولا يحىء بهذا التعليم، فلا تقبلوه في البيت ولا تقولوا له سلام. لأن من يسلم عليه يشترك في أعماله الشريرة» (٢يو ١٠، ١١).

فهل الذى يرفض المبتدعين ولا يقبلهم ولا يسلم عليهم، يكون قد وقع في خطية إدانة؟ محال أن يكون هذا. بل إنه يقع في خطية إن كان يسلم عليهم...

والسيد المسيح يقول «لا تعطوا القدس للكلاب، ولا تلقوا درركم قدام الخنازير، لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزقكم» (متى ٧: ٦). فكيف نفعل هكذا، إن لم نعرف أنهم كذلك. وهذه المعرفة ليست خطية، لأنه بدونها لا يتم تنفيذ الوصية. وبالمثل أيضاً يقول الرب:

«احترزوا من الأنبياء الكذبة، الذين يأتونكم بثياب الحملان، ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة» (متى ٧: ١٥).

فلاحتراس من الكذبة - وإن كان يحمل إدانة لهم ولكذبهم - إلا أنه ليس خطية إدانة، لأن الإنسان الروحي ينبغي أن يكون حريصاً، مميزاً للأرواح حسب وصية الرسول (١يو ٤: ١). فلاحتراس من الأشرار ليس خطية. ومعرفة أنهم يأتون بثياب الحملان وهم ذئاب خاطفة، ليس فيه خطأ، بل فيه حكمة.

ليست الروحيات أن تسير مغمض العينين، حتى لا تبصر ولا تدرك حيل الذئاب الخاطفة!

فالكتاب يقول «الحكيم عيناه في رأسه، والجاهل يسلك في الظلام» (جا ٢: ١٤). فهل السلوك في الظلام فضيلة؟ كلا. نحن لا نريدك أن تلعن الظلام. إنما يكفي أن تميزه، وتبعد عنه، وتسلك في النور. وقد وضع السيد المسيح أن التمييز بين النور والظلمة أمر سهل، فقال «من ثمارهم تعرفونهم» (متى ٧: ١٦).

نقطة أخرى نقولها في «الإدانة غير المخطئة» وهي :

٥- النصح والهداية والتوبيخ

يقول الرسول «إن ضلّ أحد بينكم عن الحق، فردّه آخر، فليعلم أن من ردّ خاطئاً عن ضلال طريقه، يخلص نفساً من الموت، ويستر كثرة من الخطايا» (يع ٥ : ١٩ ، ٢٠). فهل معرفتك أن أحداً قد ضلّ عن الحق، هي إدانة له ؟ كلا طبعاً، مادمت تريد رده عن ضلال طريقه ، ولست تقصد التشهير به ...

ونحن لا نهدي الخطاة، إلا إذا عرفنا أنهم خطاة.

تماماً مثلما يعرف الطبيب نوع المريض، لكي يصف طريقة علاجه. هكذا إذا درسنا الأخطاء التي يقاسى منها فرد أو مجموعة، أو حتى كنيسة بأسرها، لا نكون قد وقعنا في خطية إدانة، مادام الهدف هو الإصلاح وليس الإساءة إلى سمعة الغير...

والآيات الخاصة بالنصح وهداية الآخرين كثيرة جداً... والنصح والهداية قد يحملان التوبيخ أحياناً. ولا يحمل هذا التوبيخ خطية إدانة. وفي هذا يقول الكتاب :

« لا تشتركوا في أعمال الظلمة غير المثمرة، بل بالحرى وبخوها » (أف ٥ : ١١). فليست معرفتنا أنها أعمال ظلمة خطية إدانة، كما أن توبيخ هذه الأعمال غير المثمرة ليس هو أيضاً خطية إدانة. بل أن تبكيتنا لهذه الأعمال هو فضيلة، لأنه تنفيذ للوصية.

بل أن تبكيتنا لهذه الأعمال هو فضيلة، لأنه تنفيذ للوصية. على أننا نرجو أن نرجع إلى هذه النقطة فيما بعد، لنعرف الكيفية السليمة لتنفيذ هذه الوصية.

وتدخل في مجال هذا التبكيت، ما يلزم لأعمال الرعاية.

حسبما قال القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس الأسقف «وبخ، انتهر، عظ، بكل أناة وتعليم» (٢ تي ٤ : ٢).

وإن كانت الإدانة في أسلوب النصيح والتوبيخ، ينبغي أن يعرف الإنسان كيف تكون:

ومثال ذلك ابيجاييل التي وبخت داود النبي، ومنعته من اتيان الدماء والانتقام لنفسه، بأسلوب كله حكمة، بدأته بالخضوع وبالمديح، ثم مست المشكلة بطريقة غير جارحة، لم تخدش بها شعور داود. بل صارحته ولكن في أدب وفي تواضع... (١صم ٢٥).

في كل نصيححتها له، كانت تقول «ياسيدى» وتقول عن نفسها «أمتك» «جاريثك»... بدأت لقاءها معه بأن قدمت له ما كان يطلبه من الأطعمة، وسجدت له وأعتذرت عن خطأ زوجها، وقالت «على أنا يا سيدى هذا الذنب، ودع أمتك تتكلم في أذنيك، واسمع كلام أمتك».

والعطايا التي قدمتها له لم تجرحه بها، بل قالت «والآن هذه البركة التي أتت بها جاريثك إلى سيدى، فلتعط للغلمان السائرين وراء سيدى، واصفح عن ذنب أمتك».

وبعد كل هذا المديح واسلوب الإلتضاع مست ابيجاييل خطأ داود، مقدمة له بمديح آخر، فقالت:

«سيدى يحارب حروب الرب، ولم يوجد فيك شر كل أيامك» «لتكن نفس سيدى محزومة في حزمة الحياة مع الرب إلهك...». وهنا دخلت في توبيخه على نقطة الضعف فقالت «ويكون عندما يصنع الرب لسيدى حسب كل ما تكلم به من الخير من أجلك، ويقيمك رئيساً على إسرائيل، أنه لا تكون لك هذه مصدمة ومعثرة قلب لسيدى، أنك قد سفكت دماً عفواً، أو أن سيدى قد انتقم لنفسه».

نبهته إلى أنه مقدم على الانتقام لنفسه، وعلى سفك دم بلا سبب يستدعى ذلك، ونصحته بالابتعاد عن هذا، حتى لا يصبح هذا الأمر معثرة قلب له فيما بعد...

وهذا النصيح المؤدب، والتوبيخ الضمنى، قبله منها داود وشكرها عليه...

وقال لها «... مبارك عقلك، ومباركة أنت، لأنك منعتنى اليوم عن اتيان الدماء وانتقام يدى لى نفسى» (١صم ٢٥ : ٣٣). وتقبل منها عطيتها، وصرفها

بسلام، ورفع وجهها ولم يقم بإيذاء زوجها المخطيء إليه، مستمعاً لنصيحتها .
حقاً ، ما أجمل النصح ، إن كان بلياقة وأدب . وهنا يسرنا أن نضع قواعد
للنصح والتبكيث :

١ - قد يكون من حَقك أو من واجبك أن تنصح أو توبخ . ولكن ليكن
هذا النصح بأدب وباتضاع ومحبة .

إن التوبيخ بروح الكبرياء والتعالى أو بأسلوب الاحتقار والاستصغار، لا
يمكن أن يكون مقبولاً . أما إذا نصحت إنساناً أو وبخته وأنت تقول له :

« أنت تعرف يا (فلان) مقدار محبتي لك ، ومقدار حرصي على سمعتك .
لذلك أنا غير مستريح إطلاقاً لتصرفك (الفلاني) . وأشعر أنه سيفرضك ويسيء
إليك ، وربما يتخذة أعدائك فرصة ليقولوا عنك إنك .. وإنك .. لذلك أبعد عن هذا
الأمر ، وحاول أن تصحح ما فعلته بكذا وكذا ... » .

هذا الكلام مقبول . بعكس إنسان آخر يقابل شخصاً فيقول له « كيف تفعل
كذا ؟ كيف سمح لك ضميرك ؟ هل هذه تصرفات إنسان عاقل ؟ ! هل هذه
تصرفات إنسان يحترم نفسه ؟ ! إنك كذا وكذا وكذا » ويصب عليه سيلاً من
الألفاظ الجارحة تشعره أنه أمام عدو ... !

لذلك إن كلمت إنساناً من أجل خلاص نفسه ، فغضب ولم يقبل منك ،
راجع نفسك : ربما نصيحتك له كانت خالية من المحبة أو من الاتضاع .

ومن الجائز أن نفس النصيحة يقدمها له خادم آخر ، ولكن بأسلوب مقبول
يستريح له ويشكره عليه . لذلك حسناً قال الكتاب « راجع النفوس حكيماً »
(أم ١١ : ٣٠) .

لذلك إن قلنا إنه من أبواب الإدانة غير الحاطئة : النصح والهداية ... إنما نقصد
النصح الحكيم ، المملوء حباً واتضاعاً ... ولا نقصد كل نصح مهما كان أسلوبه ...

فحسب نوعية الأسلوب يصير النصح خطأ أو صواباً .

وحسب نوعية الأسلوب، يدخل النصح والتوبيخ في نطاق الإدانة الخاطئة، أو في نطاق الإدانة غير الخاطئة.

إنك تستطيع أن تدرك تماماً إن كان الذى يوبخك هو مشفق عليك، أم هو يحتقرك ويزدريك. روحه فى الحديث، ولهجته، وألفاظه ومشاعره، هى التى تترك فى نفسك أثراً، ربما أكثر من موضوعية التوبيخ...

٢ - كذلك ينبغي أن يكون التبكيت بحق، وليس ظلماً:

ولعلنا نذكر مثلاً للتبكيت الظالم، موقف على الكاهن من حنة زوجة القانة. كانت عاقراً لا تنجب. وكان لضرتها فنة أولاد، فكانت تلك تغيظها. وذهبت حنة إلى هيكل الرب، وسكبت نفسها أمامه. كانت تصلى وهى مرة النفس، وقد بكت بكاء، ونذرت نذراً إن اعطاها الرب نسلأ أن تقدمه نذيراً للرب بخدمه كل أيام حياته. كانت تكلم الرب فى قلبها، وصوتها لم يُسمع، وشفتها فقط تتحركان، حتى أن على الكاهن ظنها سكرى، ووجد من واجبه أن يوبخها!! فقال لها «حتى متى تسكرين؟ انزعى خمرك عنك» (١ صم ١ : ٩ - ١٤).

إنه كاهن، وله سلطان، وهو إنسان مسئول، ومن حقه أن يوبخ وأن يدين. ولكنه فى هذا الموقف كان مخطئاً.

لم يكن يوبخ عن حق. بل كان ظالماً فى إدانته، ظالماً فى حكمه عليها، قاسياً وجارحاً فى أسلوبه. ومع أن حنة أجابته فى أدب شديد يليق باحترام كهنوته. ولكنه مع ذلك كان مخطئاً. ومع أنه دعا لها بالخير، إلا أنه لم يعتذر لها عن سابق كلامه...

لذلك يجب أن يسبق التوبيخ، الفحص والتدقيق.

ولا يجوز أن يوزع إنسان توبيخاته عفواً وبدون أن يتأكد من صحة الخطأ...! إنما إن وثق تماماً أن ما يزعم أن ييكت عليه هو من «أعمال الظلمة غير المثمرة» حينئذ تنطبق وصية «... بل بالحرى بكتوها».

٣ - كذلك لا يجوز التبكيت لنفس مرة معذبة.

لقد وقع في هذه الخطيئة أصحاب أيوب الثلاثة، وجرحوه أكثر من مرة، وهو مَرَّ النفس، حتى أثاروه باتهاماتهم وتوبيخاتهم - وكانت ظلماً - فقال لهم أيوب «حتى متى تعذبون نفسي وتسحقونني بالكلام؟ هذه عشر مرات أخزيتموني. لم تخجلوا أن تحكروني» «تراءفوا تراءفوا أنتم علي يا أصحابي، لأن يد القدير قد مستني» (أى ١٩ : ٢ ، ٣ ، ٢١). وقال لهم عبارته المؤثرة «أنا أيضاً أستطيع أن أتكلم مثلكم، لو كانت أنفسكم مكان نفسي. وأن أسرد عليكم أقوالاً» (أى ١٦ : ٤).

الإنسان المَرَّ النفس يحتاج إلى كلمة تعزية، وليس إلى كلمة توبيخ ونصائح وإدانة!

فإن وجدت إنساناً مَرَّ النفس، مهما كان مخطئاً، لا نسمح لنفسك أن توبخه، لئلا يبدو توبيخك لوناً من الشماته. قل له كلمة طيبة، كلمة تعزية. فالتوبيخ ليس الآن وقته، وهو حالياً لا يحتمله. يكفيه ما هو فيه. واسمع قول الحكيم «لكل شيء زمان، ولكل أمر تحت السماوات وقت» (جا ٣ : ١). وهنا نقول الملاحظة التالية :

٤ - النصيح والتوبيخ لا يصلحان إلا في وقتهما المناسب :

وهنا نخطر على بالي قصة طريفة وهى : قيل إن صبيّاً نزل إلى البحر يستحم. وكان المكان خطراً فيه دوامات جذبت الطفل، فكاد يغرق وصاح يطلب النجدة. فمر عليه رجل ورآه في هذه الحال. فقال له «يا ولد.. كيف نجرؤ أن تستحم في البحر، وأنت لا تتقن السباحة؟ وكيف بلغ بك الجهل أن تستحم في هذه المنطقة الخطرة؟ وكيف...؟ فقال له السبى «أنقذنى يا سيدى الآن. ثم وبخنى بعد ذلك...».

حقاً تمر أوقات على الخطاة، يحتاجون فيها إلى من ينقذهم، وليس إلى من

يوبخهم...

إن للتوبيخ وقتاً، ربما لا يكون الأول في الترتيب. قد تبدأ أولاً بالحُب وبالمعونة. وبكل عوامل الانقاذ، وتؤجل التوبيخ إلى حين آخر. وقد يكون الخاطيء في حالة من الندم الشديد، وقد بكت نفسه بتبكيته مَرَّ شديد، لا يحتاج فيه إلى مزيد.

تأمل الآب الحنون في قصة الإبن الضال. إنه لم يبكت هذا الإبن بعبارة واحدة، بل رآه من بعيد فتحنن وركض ووقع على عنقه وقبله، وألبسه الحلة الأولى، وذبح له العجل المسمن... (لو ١٥ : ١٧ - ٢٣) ... كان ذلك وقت فرح، ولم يكن وقت تبكيت....

إن النصيح والتبكيت قد يدخلان في نطاق الإدانة غير الخاطئة، ولكن بشروط...

هى ما ذكرناه... وبغير ذلك قد يتغير الأمر، ويتحول التبكيت إلى جرح وإهانة وإدانة، وربما يأتى بنتائج عكسية.

نقطة أخرى نقولها في شروط النصيح والتبكيت وهى:

٥- أحياناً يصلح تبكيت الخاطيء، إن كان ذلك «فيما بينك وبينه وحدكما» (متى ١٨ : ١٥).

حيث لا يتعرض للخجل أمام الناس، وحيث لا تنكشف أخطاؤه أمام الآخرين. وحيث يستطيع أن يعترف بالخطأ. ويعتذر عنه، ويقبل التبكيت عليه، فلا يراه أحد، فلا يراق ماء وجهه أمام الآخرين، ولا ينفضح أمام الناس. هذا هو النصيح فيما بينك وبينه، والتبكيت المستور، والمقبول.

أما إن قمت بتبكيته أمام الناس، فقد يضطر أن ينكر، أو يدافع عن نفسه، أو يكابر!

حتى لو فعلت ذلك بحبة واتضاع. ولكن إنكشافه أمام الآخرين قد يضطره أن يحمى سمعته بالدفاع الباطل، وربما بالكذب... وتكون أنت قد أعشرته، ودفعته إلى كل ذلك، لأنك فضحته علناً، وخذشت حيائه، وجرحت كرامته...

وقد لا يخجل، بل يتبجح ويقول «نعم قد فعلت».

ليس في انسحاق قلب، وإنما في تحيد وفي مقاومة. وفي اصرار على أن لا يبدو سعيماً أمام الناس!

أما الذين قال عنهم الرسل «وبخهم أمام الجميع لكي يكون عند الباقين خوف» (١تى ٥ : ٢٠) فهؤلاء هم الذين خطيتهم معروفة للكل، وأصبح الأمر يتعلق بسلامة الكنيسة كلها وحفظ قيمها وروحياتها... وصار الهدف هو «لكي يكون عند الباقين خوف»... مثال ذلك أناس وقفوا في وسط الكنيسة يحدثون ضوضاء وهياجاً ويتكلمون بما لا يليق، بغير مبالاة، فهؤلاء يحتاجون إلى توبيخ عام، وليس فيما بينك وبينهم.

٦- النقد

قد يكون عمل الإنسان أنه ناقد في أية صحيفة من الصحف : ناقد روائي، أو ناقد أدبي، أو ناقد مسرحي، أو ناقد رياضي...

فهل يترك عمله كناقد على اعتبار أنه يوقعه في الإدانة؟ وما الفرق بين النقد والإدانة؟

كلا، لا يترك عمله. إنما يسلك فيه بطريقة سليمة وبأسلوب روحي، مبنية على أسس علمية. ولا يكون أسلوبه هو الهدم والتجريح. وهناك فروق بين النقد والإدانة.

الفرق الأساسي بين النقد والإدانة، هو أن النقد يلتزم الموضوعية. أما الإدانة فكثيراً ما تمس النواحي الشخصية.

النقد يتناول الموضوع ويحلله، ويقوم بعملية تقييم عادلة، يذكر ما فيه من المحاسن ومن العيوب على السواء. وقد يذكر أسباب النجاح وأسباب الفشل في كل النواحي. وإن كانت هناك مساوئ، يقترح الوضع السليم الذي كان يجب اتباعه.

إذن النقد هو عملية تقييم. وكثيراً ما يلزم التقييم في كل حياتنا الاجتماعية والكنسية، بل وفي كل أنشطتنا.

والهدف من هذا التقييم هو الوصول إلى الأفضل، باجتنباب العيوب، وتحسين مستوى النجاح ورفع درجته. ولذلك كثيراً ما يجلس الإنسان لتقييم أعماله. ويعرف هذا باسم (النقد الذاتى)، ويُعرف فى الروحيات باسم (محاسبة النفس).

والنقد علم، له قواعده وأصوله وأسلوبه. بل له حدوده أيضاً التى لا يتعداها، والتى إن خرج عنها لا يكون نقداً، أو لا يكون نقداً سليماً.

والنقد الذى لا يذكر سوى المساوىء، هو لون من الهجوم. ولا يكون صاحبه منصفاً.

لذلك هناك أنواع ودرجات من النقد، منها النقد الهادىء الرزين ذو الأسلوب العفّ. وهو النقد السليم المقبول. ومنها النقد اللاذع، والنقد الجارح. وكل ناقد يختلف فى أسلوبه عن الآخر، ويختلف فى اختيار الألفاظ التى يستخدمها... والناقد المنصف يتخير الألفاظ كما بميزان دقيق جداً. فإن كنت ناقدًا، انظر من أى نوع أنت ... ؟

كن موضوعياً ومنصفاً، ولا تكن قاسياً فى نقدك.

ربما ناقد أدبى أو علمى ينقد كتاباً، فيكون نقده تكملة لازمة لهذا الكتاب، تحتاج إليها معلوماته. وربما ناقد ينقد كتاباً، فيكون نقده مديحاً خالصاً، إن كان الكتاب يستحق ذلك.

كذلك النقد يحتاج إلى دراسة واعية.

يحتاج إلى معرفة واسعة جداً بالموضوع الذى ينقده، كما يحتاج إلى معرفة بفن النقد وأصوله وليس كل إنسان يرقى إلى مرتبة الناقد، أو يدعى لنفسه هذه الصفة. وليس كل ناقد يحترمه المجتمع ويثق به كناقد...

والناقد المنصف يستفيد من نقده القراء، ويستفيد الشخص صاحب موضوع النقد. ويكون نقده للبيان، مقدماً فيه علماً وأدباً وفناً...

يقول الرب فى سفر اشعيا النبى «ويل للقائلين للشر خيراً، وللخير شراً. الجاعلين الظلام نوراً، والنور ظلاماً. الجاعلين المر حلواً، والحلو مرّاً» (أش ٥: ٢٠).

هل إذا طلبت في مجال الشهادة في محكمة : اترك تستطيع أن تقع في شهادة زور لكي تبريء مذنباً؟!

وهل إذا قلت الحق، اترك تقع في خطية إدانة؟! حاشا . بل أنك بتبرئة المذنب تقع في خطية كذب . كذلك في معاملاتك الخاصة .

إن لم تستطع أن تقول الحق، فعلى الأقل اصمت، فهذا افضل من تبرئة المذنب، تبرئة تخدع بها السامعين .

لعل من أبرز أنواع الإدانة غير الخاطئة :

٧- إدانة النفس

إنها فضيلة، توصل إلى الاتضاع، وإلى التوبة والنقاوة، وإلى امتصاص الرغبة في الإدانة بطريقة سليمة . وقد قال القديس مكاريوس الكبير « احكم يا أخى على نفسك قبل أن يحكموا عليك » .

قال القديس الأنبا أنطونيوس « إن دنا أنفسنا، رضى الديان عنا » . كذلك إن الذى يدين نفسه، ويوبخ ذاتها لكي يقومها، هذا لا يجد دافعاً داخلياً لإدانة غيره، لأنه يشعر أنه مخطيء مثل ذاك وربما أكثر .

وإدانة النفس، تحمى الإنسان من إدانته لغيره .

قال القديس الأنبا موسى عن انشغال الإنسان بخطاياهم، إنشغالاً لا يسمح له أن يتفرغ للحديث عن خطايا غيره :

مَن مِنَ النَّاسِ يَكُونُ عِنْدَهُ مِيتٌ فَلَا يَبْكِي عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا يَتْرَكُهُ لِيَبْكِيَ عَلَى مِيتٍ عِنْدَ جِيرَانِهِ؟!

نحب في موضوع الإدانة أن نورد ملاحظة أخيرة وهى :

✠✠ من يبرئ المذنب ✠✠

يحدث عند البعض أحياناً ، أنهم يبرئون كل أحد - مهما كان مخطئاً - حتى لا يقعوا في خطية الإدانة . وأمثال هؤلاء ، عليهم أن يسمعوا قول الكتاب :

«مبريء المذنب ، ومذنب البريء ، كلاهما مكرهه الرب» (أم ١٧ : ١٥).

ذلك لأن كليهما بعيد عن الحق ، ويتكلم بالباطل . ونلاحظ هنا أنه وضع عبارة (مبريء المذنب) أولاً .

فلا تظن أنك تكون ذا قلب شفيق إن كنت تبرئ المذنب . فالذنب هو ذنب . والخطأ هو خطأ . قد تدافع عن المذنب من حيث أنه فعل الذنب عن جهل ، أو عن ضعف ، أو عن خوف ، أو بسبب ظروف ضاغطة فتخفف بهذا من ذنبه . ولكن لا تستطيع أن تبرئه ، أو تدعى أنه لم يخطئ... !

بل يحدث أحياناً أن مبريء المذنب يثير السماعين . ويجعلهم يدينونه هو في دفاعه عن الباطل ، و يدينون المذنب بأكثر شدة حتى يوازنوا مع ما قيل في تبرئته . وهكذا تأتي هذه التبرئة بعكس المقصود منها .

كما أن تبرئة المذنب تساعد على الاستهتار . سواء من جهة هذا المذنب ، الذي لا يشعر بتأنيب الضمير بسبب محاولة تبرئته ، فيستمر في أخطائه ، أو من جهة استهتار من يقلدونه ، شاعرين أنهم سيجدون من يعمل على تبرئتهم .

وقد سئل القديس باسيليوس الكبير هذا السؤال .
ما هي دينونة الذين يحامون عن المخطئ ويدافعون عنه ؟

قال أنثن أنها دينونة ثقيلة ، أكثر من دينونة الذي يعثر غيره ، كما وردت في الإنجيل (متى ٢٥ : ٢٩ ، ٣٠) .

لأن الذى يدافع عن المخطئ، يمنع المخطئ من أن يتوب.

ويجعله بهذا يستمر فى خطيته، ويعلم غيره شره.

وهذا حق، لأنه إن كان هذا الذى يدافع يقول: ماذا فعل (فلان)؟ لا يوجد خطأ فى كل ما فعله... فهو بهذا الكلام يشجع غيره أن يفعل مثله مادام الفعل غير مدان.

هنا ويواجهنا سؤال لا بد من الإجابة عليه، وهو:

لماذا إذن ننصحنا القديسون أن ندافع عن المخطئين؟

للإجابة على هذا السؤال ينبغى أن نعرف تماماً ما هى نوعية الدفاع؟ ليس معنى الدفاع أن نقلب الموازين الروحية، ونقول عن الخطأ إنه صواب. كلا بلا شك. فقد قال الكتاب: ويل لمن يقول عن المرء أنه حلوا (أش ٥ : ٢٠).

وإنما الدفاع هنا ينصب على الظروف المحيطة، وليس على كنه العمل ذاته.

كأن ندافع بسبب أن الحرب كانت ثقيلة عليهم، مع ضعف الطبيعة البشرية، كما نقول فى أوشية الراقدين «إذ لبسوا جسداً، وسكنوا فى هذا العالم» وإنه «ليس أحد بلا خطية، وإن كانت حياته يوماً واحداً على الأرض» أو نعتذر عنهم بمكر الشيطان المحارب وخديعته وكثرة حيله.

أو ندافع بأنهم فعلوا ذلك جهلاً....

كما قال السيد المسيح عن صالبيه «لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون» (لوقا ٢٣ : ٣٤). وقال القديس بولس الرسول «لأنهم لو عرفوا، لما صلبوا رب المجد» (١ كور ٢ : ٨).

أو نقول إنه كان فى حالة إثارة، بحيث لم يستطع أن يملك نفسه، أو كان واقعاً تحت إغراء أو ضغوط أو عشرة...

ولكن لا يمكننا أن ننفى الخطأ، أو ندعى أنه ليس خطأ. بل نتحدث فقط عن

الظروف المحيطة. تماماً كالمحامى الذى لا ينفى التهمة، أو الركن المادى منها، ويتحدث فقط عن الركن الأدبى أو الحالة النفسية أو العقلية للمتهم.

ولا يكون القصد سوى التخفيف من وقع الخطأ بدافع الرحمة، وليس انكار وجود الخطأ، كأن يقول إنسان مثلاً «كلنا تحت الزلزال» أو «كلنا معرضون للخطأ». أو كما دافع بعضهم عن خطأ نُسب إلى شخص كبير، فقال: هذه هى الطبيعة البشرية. والكتاب يحكى عن نبي عظيم جداً مثل إيليا فيقول:

«إيليا كان إنساناً تحت الآلام مثلنا» (يع ٥ : ١٧).

مع إنه صلى صلاة أن لا تمطر السماء ثلاث سنين وستة أشهر فلم تمطر، ثم صلى بعدها فأعطت السماء مطراً (يع ٥ : ١٧، ١٨).

ويقع فى محاولة تبرئة المذنب من يتملق الكبار!

محاولاً أن يبرىء أخطاءهم مهما كانت جسيمة، بأسلوب بعيد عن الحق. وبسبب هذا التملق، يسقط كثير من الكبار فى أخطاء ويستمررون فيها، ولا تبكتهم ضمائرهم، بل قد يفتخرون بما وقعوا فيه من أخطاء!! ويدفعهم من يبرئهم إلى العزة بالأثم وإلى سياسات خاطئة، ويشترك معهم فى أعمالهم الشريرة.

إن كان الذين يصمتون على الخطأ، ولا يخرجون الخبيث من وسطهم، يدانون كما دان بولس الرسول أهل كورنثوس. فماذا نقول إذن عن الذين يحامون عن الخطأ ويدافعون عنه ويررونه؟ لاشك أن هؤلاء دينونتهم أعظم.



شروط الإدارة غير الخاطئة

١- أن تصدر من شخص مسئول :

وقد شرحنا هذا الأمر من قبل . ويبقى أمامك في كل مرة تدين فيها غيرك : أن تسأل نفسك قائلاً « من أقامنى قاضياً » (لو ١٢ : ١٤) أو من أقامنى معلماً ؟ فإن وجدت أنك في موضع المسؤولية فعلاً ، فلا مانع ...

٢- الإدارة تقوم على أساس من المعرفة :

إن الله هو « ديان الأرض كلها » (تك ١٨ : ٢٥) ، لأنه بالإضافة إلى سلطانه الإلهي ، يوجد عدل في دينونته لأنها قائمة على أساس من المعرفة الشاملة الأكيدة ، فهو العارف بكل شيء ، وهو الفاحص القلوب ، والقارئ الأفكار ، ويعلم ما يجول في مشاعر الإنسان ونياته ، ويعرف الخفيات والظواهرات .

وقضاة الأرض يبنون عدلهم في أحكامهم على أساس من التحقيقات ، توصلهم إلى ما يمكن الوصول إليه من المعرفة : تحقيقات في مراكز الشرطة والنيابة والمحكمة ، مع فحص الأدلة ، وسماع الشهود ومناقشتهم ، واعطاء فرصة كاملة للدفاع وللدرد على أدلة الاتهام .

أما أنت ، فما هي معرفتك حتى تحكم ؟!

ألا يحدث أن يدين الإنسان غيره عن طريق السماع والشائعات أحياناً ، وعن طريق الظن في أحيان أخرى ، وبدون سماع دفاعه عن نفسه في كل الحالات تقريباً !! ودون معرفة بظروفه ، وقصده ، وأسباب ما حدث منه ...

وربما لو اتبع لنا أن نعرف الحقيقة كاملة ، لندمنا على أحكامنا واعتذرنا عنها !

من أجل هذا لا يجوز لك أن تدين إنساناً في تصرف ما ، بدون أن تبحث وتفحص
وتتحقق وتعطيه فرصة أن يجيب عن نفسه . وليس من اللائق أن تلقى أحكامك
بسرعة ، وتحكم على شخص قبل أن يحكم الله عليه ... وما أصدق قول الرسول :

« لا تحكموا في شيء قبل الوقت » (١ كور ٥ : ٥) .

ويتابع الرسول كلامه فيقول « حتى يأتي الرب الذي سينير خفايا الظلام ، و يظهر
آراء القلوب . وحينئذ يكون المدح لكل واحد من الله » .

⦿ لا تحكموا قبل الوقت

قال القديس أوغسطينوس في تفسير هذه الآية (١ كور ٥ : ٥) :

هناك خطايا واضحة قال عنها الرسول « خطايا بعض الناس واضحة تتقدم إلى
القضاء » (١ تي ٥ : ٢٤) . هذه الخطايا الواضحة إذا صدر عنها حكم ، لا يكون
حكماً متسرعاً . ولكن هناك أموراً أخرى غير واضحة ، سيعلمها الله حينما يكشف
ما في القلوب وينير خفايا الظلام (١ كور ٥ : ٥) . عن هذه الأمور قال الكتاب « لا
تحكموا قبل الوقت » .

لأن تصرفاً معيناً قد يبدو لنا أنه خطأ . ولكن حينما يكشف الله نيات القلوب
يظهر أنه تصرف سليم . والعكس صحيح : تصرف يبدو سليماً ، وحينما يكشف الله
نيات القلوب يظهر أنه خطأ . فلا تحكموا إذن قبل الوقت في هذه الأمور التي نيتها
غير واضحة ، والتي ستبقى مخفاه ، إلى أن يعلنها الله .

إذن حكمنا هو في الأمور الواضحة . أما غير الواضحة فنتركها لله ، إلى أن
يعلنها .

٣ - لا يجوز أن تحكم على أحد وأنت مثله ، أو أسوأ :

وهذا واضح من قول السيد المسيح للذين طلبوا رجم المرأة المضبوطة في ذات
الفعل . فمع أن الخطيئة كانت واضحة وفاضحة وثابتة ، إلا أنه قال لهم « من كان منكم

بلا خطية، فليرمها أولاً بحجر» (يو ٨ : ٧). فانصرفوا جميعاً وتركوها لأن الكل خطاة. والمثل يقول «من كان بيته من زجاج، لا يقذف الناس بالحجارة».

لذلك فالإنسان المتواضع لا يدين أحداً...

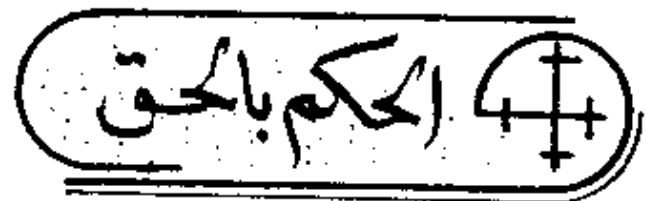
إنه ينصت في انسحاق قلب إلى قول السيد المسيح «لماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك. وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفتن لها؟! ... يا مرأتى اخرج أولاً الخشبة من عينك. وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك» (متى ٧ : ٣ - ٥).

والمتضع إذا اضطر أن يدين، يفعل ذلك باتضاع.

لا بعجرفة، ولا بكبرياء، ولا باحتقار وازدراء لغيره. ويكون موضوعياً، فلا يجرح أحساس غيره ولا ينجله. وكما قال الرسول «أيها الأخوة إن إنسيق إنسان، فأخذ فى زلة، فاصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة، ناظراً إلى نفسك لئلا تجرب أنت أيضاً. احملوا بعضكم اثقاب بعض» (غل ٦ : ١ ، ٢).

٤ - ولا تكون الإدانة بحقد ولا بغيظ ولا بكراهية :

حتى إن كان الذى يدين، يفعل ذلك بسلطان وعن معرفة، إلا أن ادانته إذا ما اختلطت بالكراهية والحقد تصبح ادانة خاطئة. لأن «المحبة لا تفرح بالاثم، بل تفرح بالحق» (١ كو ١٣ : ٦).



سئل القديس باسيليوس الكبير عن معنى قول الرب «لا تدينوا لكى لا تدانوا» (متى ٧ : ١)، فأجاب : قال الرب فى موضع آخر :

«لا تنظر إلى الوجوه ... العدل العدل تتبع لكى تحيا» (متى ١٦ : ١٩)،
(٢٠).

«لا تنظر إلى الوجوه» أو «لا تأخذ بالوجوه» معناها «لا تحاب». إياك والمحابة، بل أحكم بالعدل والحق. وهنا قال القديس :

إن الله لم يمنعنا عن الإدانة جملةً، بل أمرنا أن ندين بالحق، في الوقت المناسب وعن عمل دون عمل .

فالأشياء التي لم يحدّ الكتاب لها حداً، بل وضعها تحت سلطان الإنسان مثل الأكل والشرب وغير ذلك، قال الرسول فيها «لماذا تدين أخاك...؟» (رو ١٤ : ١٠) وأيضاً «لا نحاكم بعضنا بعضاً» (رو ١٤ : ١٣) .

«أما الأمور التي لا ترضى الله... فقد لام الذين لا يدينون عليها»

يقصد لام المجموعة كلها The whole community، لأنه كان ينبغي عليها أن تدين الشخص المخطيء. وذكرهم بقول الكتاب «اعزلوا الخبيث من وسطكم» (١ كور ٥ : ١٣) . فربما من أجل خطية إنسان واحد، يحل غضب الله على المجموعة كلها .

والمجموعة مسئولة عن أن تنظف نفسها، وتعزل الخبيث من وسطها، لئلا يحل غضب الله على الكل بسبب خطية واحد .

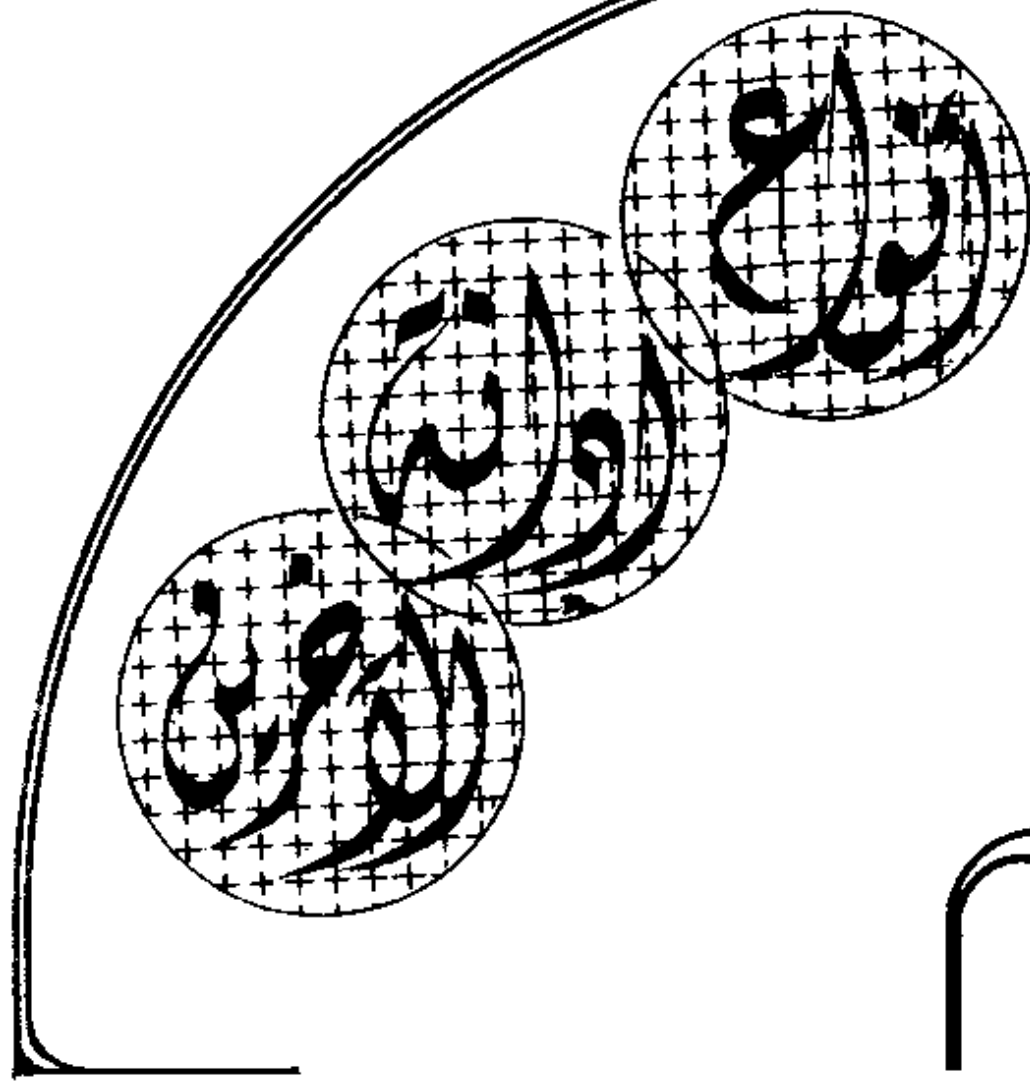
لقد كادت السفينة كلها أن تغرق بسبب خطية واحد هو يونان، بينما باقى ركبائها ما كان لهم ذنب . وأيام يشوع بن يونان، غضب الله على المجموعة كلها بسبب خطية واحد هو عخان بن كرمي (يش ٧) .

فمن الحق أن تدين الشر الذي فيها، وتخرجه خارجاً، لئلا تهلك كلها بسببه . ولكن هذه الخطوة تحتاج إلى حكمة .

قال القديس باسيليوس إن هناك بعض الأمور التي ينطبق عليها قول الكتاب :
غيرة بيتك اكلتنى، لأن اعداءك نسوا وصاياك» (مز ١١٩) .

إنها غيرة لله . ولا بد للإنسان أن يفرق بين ما إذا كان الدافع للإدانة هو الغيرة المقدسة، أم أن الدافع هو حقد شخصي، أو كراهية شخصية، أو شماتة بإنسان مخطيء . فإن كانت هي الغيرة المقدسة - وليس تكون الإدانة مقبولة - ولكن...

هذه الغيرة ينبغي أن تكون حسب المعرفة (رو ١٠ : ٢) .



الإدانة بالفكر

الإدانة باللسان

الاغتياب

التميمة

الإدانة

التشهير

الإدانة بالمطبوعات والتسجيلات الصوتية

الإدانة بالسماع

كلام يسهل الإدانة

أنواع أخرى من الإدانة

إدانة الآخرين ليس لها أسلوب واحد ، ولا تكون بالكلام وباللسان فقط ، إنما قد تبدأ أولاً بالفكر ، أو تحدث عن طريق السماع . أو قد تكون مجرد شعور في القلب ، يتطور من حال إلى حال . وربما تصدر عن طريق الملامح والحركات .

وقد تحدث الإدانة بطريق غير مباشر ، وقد تأخذ صوراً مختلفة ، وتصل إلى درجات خطيرة ، كلما ارتبطت بمشاعر أخرى .

وسنحاول أن نتناول كل هذه الأنواع والدرجات بالتفصيل ..

الإدانة بالفكر

الإدانة بالفكر ، ربما تكون أخف ألوان الإدانة ، لأنها قاصرة على الشخص الذي يدين ، ولم تنتشر في الخارج .

ولكن خطورتها أنها نقطة البدء ، وإنها المصدر لكل الأنواع الأخرى من الإدانة . لذلك يجب الانتصار عليها قبل أن تتطور ، وقبل أن تسيء إلى آخرين ، وتنتقل من درجة إلى أخرى .

على أن الإدانة بالفكر قد تكون أولاً مجرد حرب روحية .

وقد ينتصر عليها الإنسان ويطردها من ذهنه ، قبل أن تصبح خطية . أما إذا ترك فكر الإدانة داخله ، وبدأ يقتنع به ، ثم خلطه أيضاً بمشاعره ، فحينئذ لا تكون الإدانة مجرد حرب ، لأنها لاقت قبولاً في الداخل .

وقد لا يكفي الإنسان بالرضى بفكر الإدانة ، وإنما يضيف عليه تصورات وتخيلات من عنده ، لتكبيره وتجيئمه .

ويحدث هذا كثيراً، إن كان لا يحب الشخص الذى يدينه، أو إن كان يكرهه أو يحقد عليه... وحينئذ لا يكتفى بأن يجعل فكر الإدانة يستقر ويستمر... ولا يكتفى بالتفكير فى أخطاء الشخص التى أمامه، إنما يمتدح فى ذهنه قصصاً يمكن أن تحدث مع هذا الإنسان: كأن يقع فى أخطاء أخرى، وينكشف فيها أمام الناس، أو أن يضبطوه فى كذا وكذا، وينفضح، أو يُحاكم.

وهكذا يكون الفكر مجرد شاشة يعرض عليها القلب ما فى داخله من مشاعر خاطئة وتصورات بشعة.

المفروض أن توقف فكر الإدانة بمجرد أن يخطر على ذهنك. ولكنك إن وصلت إلى هذا الحد، فإن الأمر معك لا يقتصر على علاج الإدانة، وإنما بالأكثر معالجة أسبابها، والتخلص مما فى القلب من مشاعر خاطئة...
والإدانة بالفكر تتبادل الموقع مع الإدانة بالقلب:

فالفكر حينما يدين إنساناً، يوصل مشاعر خاصة بهذه الإدانة إلى القلب. والقلب إذا وجدت فيه أمثال هذه المشاعر، يصدر أفكاراً إلى العقل. وهكذا يغذى كل منهما الآخر.

الإدانة باللسان

خطورتها أن الإدانة تخرج من فكر أو لسان صاحبها، لكى تصب فى آذان وأفكار ومشاعر آخرين.

إن الإنسان الذى يدين بالفكر، إن تاب عن خطيته ينتهى الأمر عند هذا الحد. أما الذى يدين بلسانه ويسمعه غيره ويتأثر به، فإن تاب لا تكون إدانته قد انتهت، لأنها لا تزال موجودة فى فكر غيره وفى معرفته.

وما يدرينا إلى كم شخص قد وصل هذا الكلام.

على أن الإدانة باللسان، هى أيضاً متعددة الأنواع، منها:

الاغتياب

ومعناها أن إنساناً يتكلم بالسوء على غيره في غيبته . وربما لا يجزؤ أن يقول شيئاً من هذا في حضرته . وقد يحرص كل الحرص أن يظل كلامه مستوراً لا يصل إطلاقاً إلى هذا الشخص . ومن أمثلة (الغيبة) ما يقال عن الرؤساء والكبار . وعلى رأى المثل « الملك من هيبتة ، يُشتم في غيبته » ...

ومن أضرار الاغتياب أن الشخص الذي يُساء إليه سرّاً ليست لديه الفرصة للدفاع عن نفسه ، لأنه لا يعرف !

فإن كان الذين يسمعون ، من النوع الذى يصدق كل ما يسمعه ، ففي هذه الحالة تسوء سمعته ، وهو لا يدري ، ودون أن تكون أمامه لشرح الحقيقة ، وتوضيح الأمور وشرحها وتبرير ما يُنسب إليه .

والغيبة تدل على أن صاحبها تنقصه الشجاعة والجرأة ...

بل قد تدل على أنه يتصف بالرياء والنفاق ، إن كان يقول كلاماً عكس هذا في حضرة من يسيء إليه باغتيابه ...

النميمة

وهي مسك سيرة الناس ، والتحدث عن أخطائهم ، أو نسبة أخطاء إليهم . والنميمة مرض منتشر بين الكثيرين . فإذا لا يجدون شيئاً نافعاً يتحدثون فيه ، يجعلون أخبار الناس مادة مفضلة لأحاديثهم ، وبخاصة ما تحمله هذه الأخبار من انتقادات وتحليل للمواقف ، وشرح الأخطاء والتقصص .

ولذلك فمن ضمن أسباب النميمة الفراغ .

فالإنسان المشغول باستمرار، لا يجد وقتاً يتحدث فيه عن أخبار الناس وأخطائهم. والسيدة العاملة قد تكون أقل وقوعاً في هذه الخطية من السيدات الجالسات في البيوت، ولا حديث لهن إلا عن أخبار الجيران. والتلميذ في أيام الامتحانات، وهو منشغل بدروسه ومراجعتها، لا يجد وقتاً يجلس فيه مع زميل يتحدثان في مساوئ الآخرين. وإذا فتح له هذا الموضوع لا يجد دافعاً داخلياً للاسترسال فيه...

لذلك اشغل نفسك، حتى لا تقع في الإدانة والنميمة.

وأيضاً من أسباب النميمة معاشره النمامين .

لأنهم يفتحون لك أمثال هذه الموضوعات. وإن فتحتها أنت، يشجعونك على الاسترسال فيها. ومع هؤلاء النمامين، تشعر أن مسك سيرة الناس شيء عادي، لا غرابة فيه. بل تشعر أنه مجال للتسلية، وربما تجد فيه متعة إن كان مختلطاً بروح المرح، فتستمر دون أن يستيقظ ضميرك، ودون حرج...

الإدانة

ومعناها من جهة اللغة الحكم على الغير بأنه مذنب...

ولكن الآباء في بستان الرهبان يفرقون بين النميمة والإدانة، في أن النميمة قد تحمل الحديث عن خطأ معين قد حدث، بينما الإدانة تحمل الحكم على أخطاء ثابتة في الشخصية.

وهناك يوجد فرق بين الإدانة الجزئية، والإدانة الكلية.

فمثلاً يوجد فرق بين قولك إن فلاناً قد كذب، في موقف معين، وبين قولك إنه شخص كذاب، أي أن الكذب جزء من عناصر شخصيته. وبالمثل يوجد فرق بين قولك إنه قد جبن أو خاف في إحدى المناسبات، وبين قولك بصفة عامة إنه جبان، أي أن الجبن من مكونات شخصيته...

كذلك هناك فرق بين الإدانة الفردية والإدانة الجماعية .

فهناك إنسان قد يقع في إدانة شخص ما وإنسان آخر قد يتطور به الأمر إلى إدانة مجموعة معينة ، أو مدينة بأسرها ، أو شعب كامل . وقد يدين البشرية في نواح معينة .

مثال ذلك يقول لك : المدينة الفلانية تشتهر بالبخل ، أو الشعب الفلاني يتصف بالبرود ، أو الشعب الفلاني يتصف بالتهور . وهكذا يسم الشعب كله بصفة واحدة ..

والمعروف أنه قد يوجد في أسرة واحدة أخان أو شقيقان ، كل منهما له طبع مخالف للآخر .

قايين طبعه غير هابيل ، وهما شقيقان ، وكذلك طبع يعقوب يختلف عن طبع عيسو وهما توأمان . وبالمثل سليمان غير ابشالوم ، وهما شقيقان ... وهكذا في الأسرة الواحدة طباع متنوعة . فلا نستطيع أن نحكم على طباع شخص بصفات أقربائه .

إن كان الأمر هكذا ، فما معنى الحكم على مدينة أو شعب بحكم واحد وربما يكون المقصود هو الصفة الغالبة . ومع ذلك فقد لا توجد هذه الصفة عند البعض .

وقد يتأثر إنسان بحادث معين وقع له مع شخص ما ، لكي يصدر حكماً على هذا الشخص يشمل حياته وصفاته كلها .

بينما كل شخص قد تمر عليه في حياته فترة ضعف ، أو فتور ، أو فترة يكون فيها تحت ضغوطات معينة ، أو في حالة نفسية مؤقتة نتيجة لأسباب خاصة ... ولا يمكن أن تعبر تصرفاته في مثل هذه الفترة عن الصورة الثابتة لشخصيته ... ولكن ويل له من حكم من رآه في تلك الفترة ، أو في أحد مواقفها بالذات .

ومن أمثلة الإدانة العامة : إدانة اليهود للأمم .

وإدانتهم أيضاً للسامريين ، وإدانتهم لكل من يتعامل مع هؤلاء وأولئك . وهكذا تعجبت المرأة السامرية من حديث السيد المسيح معها ، بينما « اليهود لا يعاملون السامريين » (يوحنا : ٤ : ٩) تعنى هنا الشعب كله ، وليس شخصاً واحداً بالذات . وهكذا نرى أن الإدانة تطورت إلى المقاطعة ، ولم تعد مجرد كلام إدانة .

ومن أمثلة الإدانة العامة أيضاً: إدانة الفريسيين للعشارين .

ربما كانت الصفة الغالبة في العشارين هي الظلم ، ولكن ليس شرطاً أن يتصف بها كل عشار . فقد يوجد عشار تائب ... ونلاحظ من عمق إدانة الفريسيين للعشارين ، أن الفريسي وقف يدين العشار حتى أثناء صلاته . فأشار إلى العشار المنسحق القلب وقال « أشكرك يارب ، لأنني لست مثل سائر الناس الظالمين الخاطفين الزناة ، ولا مثل هذا العشار... » (لوقا : ١٨ : ١١) .

نوع آخر من أنواع الإدانة هو :

التشهير

ومعناه أن يجعل أخطاءه مشهورة عند الآخرين .

والذي يقع في التشهير ، لا يبالي بأن يحدث كل أحد عن أخطاءه من يسيء إليه ، فينشر تلك الأخطاء ، أو ما يرى أنه أخطاء ، في أوسع نطاق ممكن ، بلا حرص إطلاقاً على مشاعر وسمعة الشخص الذي يتحدث عنه ...

وتزداد خطية التشهير بشاعة ، على قدر اتساعها وانتشارها .

ولا تقتصر على الأشخاص الذين يتحدث معهم هذا الذي يدين غيره ، وإنما تمتد أيضاً إلى الذين ينقل إليهم سامعوه نفس الكلام ونفس الإساءات ... وما أدرانا ربما كل منهم يضيف شيئاً من عنده ، من استنتاجاته أو مفهومه الخاص . ويصبح الأمر معروفاً لدى عدد كبير جداً يصعب إحصاؤه ...

وربما المخطيء يتوب ، ولكن الشهرة الرديئة تظل تتبعه وتتعبه .

بل ربما هذه الشهرة الرديئة تكون عائقاً أمامه في التوبة ... هذا إذا كان مخطئاً بالحقيقة ... لأنه في أحيان كثيرة لا يكون التشهير مبنياً على أساس من الحق والصدق والعدل .

فربما يبنى التشهير على شائعات أو إدعاءات .

وما أسهل أن يحدث هذا من جانب الحاقدين أو الحاسدين أو الظالمين أو أصحاب الأغراض ... !

إن آخاب الملك عندما أراد أن يستولى على حقل نابوت اليزريعيلى ، دبرت إيزابل زوجته مؤامرة للإيقاع بنابوت ، بأن يشاع عنه أنه جدف على الله ، وأرسلت رسائل إلى شيوخ وأشراف مدينته بذلك ، ونادوا بصوم ، واجلسوا نابوت فى رأس الشعب ، وشهروا به تشهيراً انتهى إلى رجه ... وكان بريئاً ... (١ مل ٢١) .

ولعل تشهيراً ظالماً مثل هذا حدث ليوسف الصديق ، انتهى إلى سجنه . بل أن تشهيراً ظالماً آخر أشاعه الكتبة والفريسيون ضد السيد المسيح نفسه ، انتهى إلى صلبه ...
وإن كانت كل هذه الأمثلة تثبت براعتها ، فإن تشهيرات أخرى قد لا تنال فرصة لإثبات براعتها ...

ومن خطية الإدانة بالتشهير ، ما يسمونه فى مواد القانون باسم « القذف العلنى » . وأحياناً لا يكون هذا التشهير باللسان ، وإنما عن طريق الصحافة مثلاً ، حيق تقوم حملة صحفية عنيفة ضد شخص ما ، أو ضد هيئة معينة ، أو بلد من البلاد ، وتؤدى هذه الحملة إلى سوء سمعة واسعة النطاق ، أو إلى فضيحة عالمية . وبعض هذه الحملات انتهت إلى سقوط رئيس دولة ، أو سقوط وزارة ، أو إقالة وزير ... فكم بالأولى يكون تأثيرها على شخص لا يملك دفاعاً عن نفسه ؟
وهذا يقودنا إلى نوع آخر من الإدانة وهو :

الإدانة بالمطبوعات والتسجيلات الصوتية

وهذه تكون أكثر خطراً ، لأنها أوسع إنتشاراً .

فقد لا تكون الإدانة باللسان ، وإنما عن طريق منشور مطبوع تُوزع منه نسخ بعشرات الآلاف وتنتشر ، أو تكون عن طريق كتاب مطبوع أو نبذة . أو تكون هذه الإدانة فى

مقال ينشر في الصحف ويسىء إلى إنسان أو إلى مجموعة من الناس . أو صورة أخذت بطريقة ما ، وتُطبع وتُنشر بقصد الإساءة .

ويشبه هذا النوع ، خطابات يرسلها شخص إلى آخرين ، تحوى أخباراً فيها إساءة إلى إنسان ما ، وفيها إدانة له . والقصد بها هو التشهير .

ويدخل في الإدانة باللسان : التسجيلات الصوتية .

فهى لسان مستمر فى الكلام ، كلما شئنا له أن ينطق . وهذا النوع أكثر ثباتاً وانتشاراً من كلمة يقولها شخص فى وقت ما ، دون تكرار لها . وهو أيضاً من الوثائق المحفوظة التى يمكن أستخدامها فى أى وقت ، ويمكن أن تطبع منها نسخ عديدة تساعد على أنتشار ما يراد سماعه .

وتكون الإدانة باللسان صعبة ، إن صدرت من فم كاهن .

لأن الناس يميلون بطبيعتهم إلى تصديق الآباء الكهنة وعدم الشك فى أقوالهم . فيأخذون مثل هذه الإدانة كحكم كنسى ثابت . كما يصبح من الصعب على من أصابته هذه الإدانة أن يدافع عن نفسه ، ويشكك فى قول الكاهن .

وصعوبتها أيضاً أن كل إنسان ينتظر من الكاهن أن يستر عليه ، لا أن يعلن أخطائه ..

ينتظر أن يسمع منه كلمة بركة لا كلمة دينونة ، كما قال السيد المسيح للمرأة الخاطئة « ولا أنا أدينك . اذهبي ولا تخطئى أيضاً » (يو ٨ : ١١) . وكما قال أيضاً :

« لم آت لأدين العالم ، بل لأخلص العالم » (يو ١٢ : ٤٧) .

ولكن يستثنى من هذه القاعدة من جهة الرعاة والكهنة ، الإدانة اللازمة لسلام الكنيسة . كإدانة الهرطقة والمبتدعين ، والذين هم خطر على الجماعة . وكذلك الخارجين عن نظام الكنيسة . كما قال القديس بولس لتلميذه تيموثاوس الأسقف «الذين يخطئون ، وبخهم أمام الجميع ، لكى يكون عند الباقين خوف» (١تى ٥ : ٢٠) . ومن أجل حفظ النظام العام فى الكنيسة ، كانت إدانة بطرس الرسول لحنانيا وسفيرا (أع ٥) .

الإدانة بالسمع

يقول الآباء إن السامع شريك للمتكلم ، لأنه قد أعطاه فرصة ليتكلم ويقول ما عنده .

وقد نصح الآباء بعدم السماع . فقال القديس موسى « لا تمش مع النمام ... ولا تصدق كلام نيمة في أى إنسان » .

والسامع هنا يكسر وصية البعد عن المعثرات .

لأنه في سماع كلام الإدانة أو النيمة عشرة . والمفروض أن تبتعد عن العثرات . فإن سمعت كلام أشخاص يمسكون سيرة الناس ، على الأقل تشوّه سمعك وفكرك وقلبك . وإذا صدقت ما تسمعه ، بدون فحص ، فقد تتغير علاقتك بالآخرين . والسمع يولد لك إدانة بالفكر...

★ وقال الأنبا موسى أيضاً :

«أياك أن تسمع بسقطة أحد أخوتك ، لئلا تكون قد دنته خفية»

هذا إذا صدقت ما سمعته عنه . أما إن لم تصدقه ، فعلى الأقل تكون قد دنت من يتكلم عنه . وفي كلا الموقفين تصير واقعاً في الإدانة .

وربما الشخص الذى سمعت عنه سوءاً ، لا تدينه الآن ، وترفض قبول ما سمعته عنه . ولكن الأخبار والأفكار تتركز في عقلك الباطن ، لكى تظهر بعد حين ...

★ وقال القديس الأنبا إشعياء :

«إن سمعت أحاً يدين آخر... فلا تستح منه أو توافقه... لئلا يغضب الله.. بل قل باتضاع : اغفر لى يا أخى ، فإنى إنسان شقى... وهذه الأمور التى تذكرها أنا منغمس فيها ، ولا احتمل ذكرها» .

وطبعاً ليس المقصود أن تقول هذا الكلام حرفياً، إنما :

يكفى أن نهرب من السماع بأية وسيلة تناسبك.

يمكن أن تغير مجرى الحديث إلى موضوع آخر، أو تسأل اسئلة تنقله إلى جهة أخرى، أو أن تختم الكلام بعبارة « نصلى من أجله ومن أجل أنفسنا، ليرحمنا الرب جميعاً » ...

أو أن تقول « هذه السقطات التى اسمع عنها تدل على أن الشيطان نشيط وقوى . حقاً ما أعجب حيل الشياطين .. » . وتحول الحديث إلى حيل الشياطين .

★ قال الأنبا اشعيا أيضاً « لا تقبل أن تسمع عن خطايا أخيك أو أن تلومه » ...

★ وهذه النصيحة نجدها أيضاً فى المزمور ٥١ .

حيث يقول « يارب من يسكن فى مسكنك ، أو من يصعد إلى جبل قدسك ، إلا السالك بلا عيب ، الفاعل البر ، الذى يتكلم بالحق فى قلبه ... ولا يصنع بقريبه سوءاً ، ولا يقبل عاراً على جيرانه » .

أى لا يقبل أن يسمع عنهم كلمة سوء . يرفض أن يسمع .

فالمفروض فىك إذن : أنك لا تتكلم بكلام نيمة أو إدانة ضد إنسان ، ولا تسمع مثل هذا الكلام .

★ وهكذا يقول القديس مارأوغريس :

الذى يسمع بالردىء ، شريك للذى يتكلم بالردىء . وهما متعاونان معاً فى إهلاك قلوبهما ...

ولعله يقصد الذى يكون راضياً بهذا السماع ، ومعطياً فرصة للمتكلم به أن يقول وأن يزيد . أما الراضى السماع ، فحتى إن كان موجوداً بجسده ، فإنه لا يجب أن يصغى بأذنيه ، ولا يعطى سمعه للكلام ، بل يشغل ذهنه بأمر آخر . ولا يقبل ما يسمعه . ولا يعاود التفكير فيه ، ولا يعطيه عمقاً فى داخله .

★ يكمل القديس مارأوغريس حديثه فيقول :

«فسد أذنك الآن عن قول الذين يقعون في غيرهم ، لئلا تأثم معهم وتعود ذاتك الأعراض الشريرة» .

«تأثم معهم» لأنك رضيت أن تجلس في مجلس من هذا النوع ، ورضيت أن تضيع وقتك ، وتفقد نقاوة فكري ، عن طريق هذا السماع . كما أنه لو استمر بك الأمر في أمثال هذه المجالس ، سوف تعود هذا الأسلوب من الأحاديث . وربما تتطور من السماع إلى الاشتراك في الكلام .

★ أما مار اسحق ، فإنه يشبه الإدانة بالنار ، ويقول :

« اعلم أنه إن برزت منك نار واحرقت آخرين ، فإنه الله يطالبك بأنفس المحترقين » .

هذا إذا كنت أنت المتكلم ، واستطعت أن تتلف بساطة الآخرين ونقاوتهم بما تقوله من كلام سيء عن أخوتهم . وهكذا تكون قد أعثرتهم ، يطالبك الله بأنفسهم ... ولكن ماذا إذا لم تكن أنت المتكلم بل السامع ؟ يقول مار اسحق :

« وإن كنت ياهذا ما ألقىت ناراً ، ولكن وافقت راميها ، وارضاك فعله ، فأنت تشترك معه في الدينونة » .

وانصافاً للحق ، لعلنا هنا نقسم السامعين إلى أنواع :

أ - نوع يسمع الكلام الردىء وهو متضايق ، ويريد أن يبتعد ، ولكنه غير مستطيع خجلاً أو أدباً .

ب - نوع يسمع كلام الإدانة ، ويستطيع أن يهرب من الكلام وسماعه ، أو من المكان كله ...

ج - نوع يسمع ، وينصت جيداً ، ويناقش الكلام في داخله بعقل وحكمة وفحص ، ويقبل ما يمكن قبوله ، ويرفض الباقي ، كمجرد أخبار ، دون أن يحكم في داخله على أحد ، منتظراً مجالاً أوسع للفحص والتحقيق .

د - نوع يسمع كلام الإدانة ويقبله ويتأثر به ، ويتغير به فكره وقلبه ، ويظل صامتاً .

هـ - نوع يسمع كلام الإدانة، ويتجاوب معه بفكره، ويشترك فيه. وهنا يخطئ بالسمع وبالكلام وبالفكر أيضاً.

و - وهناك نوع آخر أصعب من كل هؤلاء تحت عنوان

كلام يسهل الإدانة

قد لا يتلفظ إنسان بكلمة إدانة. ولكنه يسأل اسئلة، أو يقول كلاماً يسهل الإدانة، عن قصد وعن رغبة.

أى أنه لا يدين بلسانه، ولكنه يفتح الباب للإدانة..

ربما يكون سمع بأن شخصاً ما قد وقع فى خطية معينة، أو على وشك أن تدور حوله فضيحة ما... فيسأل «أين فلان؟ ما هى أخباره. لم أره من مدة، وأحب أن أطمئن عليه»... من يستطيع أن يقول أن هذه كلمات إدانة.. ولكن:

المهم ليس فى الكلام الذى يقوله، إنما فى الرد الذى يتوقعه.

لأن سامعه ما أن يتلقى هذا السؤال، حتى يفتح ملف ذلك الشخص المراد أن يُساء إليه، ويحكى حكايات كلها إدانة وسوء سمعه، ويُخاض فى سيرة هذا الإنسان وفيما ينسب إليه من اتهامات... ويكون صاحب السؤال هو السبب فى كل هذا، يحمل مسئولية الإدانة...

وقد يتظاهر بالدفاع عنه، بطريقة تعمق الإتهام وتوضحه:

فيقول مثلاً «من غير المعقول أن يحدث كل هذا من هذا الأخ. أنا لا أستطيع مطلقاً أن أصدق». وبهذا الكلام الذى يبدو فى ظاهره دفاعاً، يفتح الباب أمام الأدلة والاثبات التى تؤكد كل ما ينسب إليه... وتنتهى الجلسة بإدانة هذا الأخ إدانة تدعمها الأحداث والبراهين. وسبب كل هذا الاسئلة التى قدمها هذا الزميل ففتح باب السيرة، وفتح أبواباً للتفاصيل.

وهكذا وقع فى خطية إدانة، تصحبها غالباً رياء...

فهو يتظاهر أمام الناس أنه لم يخطيء إلى ذلك الشخص ، بل كان يدافع عنه ،
بينما كان قصده غير هذا... وما أسهل أن يقول « من يستطيع أن يمسك على خطأ
قلته في سمعة هذا الأخ ؟ !

بالإضافة إلى خطية العثرة ، كان يخطيء ، ويحتمل غيره المسئولية

وما أسهل أن يذهب إلى أب اعترافه ويقول له « صدقني يا أباي لم أقل كلمة
إساءة واحدة . الإساءات صدرت ضده من فلان ، وأنا كنت أدافع وأقول إن ذلك
الكلام غير معقول !

ليس من الضرورة أن تكون خطية الإدانة مكشوفة ومباشرة .

من السهل أن يقع الإنسان فيها بطريقة غير مكشوفة ، وبطريقة غير مباشرة .
بأن يشجع غيره على الخطأ ، أو يفتح له باب الخطأ . ويقف هو من بعيد يتفرج
ويسمع ، بوجه كله (براءة) ، محتجاً على ما يقال احتجاجاً يساعد على المزيد ... إنه
مجرد سأل سؤالاً ...

وقد لا يكون السؤال عن شخص ، وإنما عن موضوع .

والكلام يجر بعضه بعضاً إلى أن يصل إلى الشخص . وهناك موضوعات من
المعروف جيداً من هم الأشخاص المرتبطون بها ، والذين يحملون المسئولية .

من أجل هذا يقول الآباء القديسون :

« لا تقل كلاماً يسهل اللائمة ... »

فإن كنت أنت حقاً شخصاً بعيداً عن الإدانة . فحتى إن فتح غيرك الموضوع
- وليس أنت - ووجدت أن مجرى الحديث سينتهي إلى مسك سيرة إنسان ، حاول أن
تغير مجراه إلى اتجاه آخر .

أنواع أخرى من الإدانة

قد تأتي الإدانة أحياناً عن طريق الإحراج وكشف الآخرين .

فربما لا تقول لإنسان إنه جاهل ، ولكنك توجه إليه بضعة أسئلة منتقاه ، تعرف مقدماً أنه لا يستطيع الإجابة عنها أو هي فوق مستواه . وبهذا تخرجه وتكشف جهله أمام الآخرين . ويكون قصدك هو هذا . وتكون قد وقعت في خطية الإدانة ، دون أن تلفظ كلمة واحدة من كلمات الإدانة . ولكن الإدانة هي في نيتك وفي قصدك ، وقد وصلت إليها بأسئلتك .

كذلك قد تسأله عن بعض خصوصيات تخرجه وتدينه !

مثل : أين كنت في اليوم الفلاني وفي اليوم الفلاني ؟ ومن الذي قابلته ؟ وماذا قلت له ؟ وماذا أعطاك ؟ وتبدو الأسئلة خالية من ألفاظ الإدانة . ولكن الإدانة كامنة في أجابتها ، أو فيما تثيره هذه الأسئلة من شكوك في أذهان الحاضرين ... إذ يقولون..ولو في ذهنهم- لابد أن في الأمر شيئاً محرّجاً ...

وقد تكون الإدانة في أسلوب الشكوى :

لأنه لا يوجد أحد يشكو إلا من أخطاء الغير إليه . فالشكوى تحمل أتهامه بهذا الخطأ . وكلما انتشرت هذه الشكوى أمام كثيرين ، تزداد سمعة الرجل سوءاً ، كأنسان يسيء إلى غيره أو يظلمه أو يهينه ...

وقد تكون الإدانة عن طريق الملامح وليس اللسان .

مثال ذلك أن يسألك أحدهم عن شخص معين ، فتلوى شفيتك في احتقار وازدراء ، أو تلوح بيدك بطريقة يفهم منها هذا المعنى ، أو تنظر نظرة خاصة ذات معنى ، أو تومىء بإيماء لها نفس المعنى ... كل ذلك دون أن تنطق بكلمة إدانة واحدة . ولكن الملامح والإشارات تعبر تماماً عما تقصده ، دون أن تتكلم .

والإدانة قد تصل إلى درجة التحقير أو التعيير.

وهذا لون آخر من الإدانة، ارتبطت به خطايا أخرى، وأصبح له عمق خاص يجعله أخطر من غيره من جهة المشاعر...

إنه نوع يهين ويحرج، ولا يبالي بإنسانية من يدينه!

إن الذى يحتقر غيره ويزدرجه لسقوطه، هذا خطيته أصعب ممن يغتاب أو ينم أو يدين.

اعلم أن الشخص الذى تحتقره وتزدرجه، لسقوطه فى الخطية أو لضعفه، أنت من نفس طبيعته القابلة للسقوط، ويمكن أن تقع فيما وقع فيه...

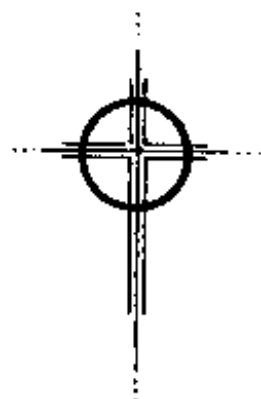
أستطيع أن تدين شخصاً، أغتصب اللصوص بيته وسرقوه؟! أم أنت تشفق عليه، تخاف لئلا يحدث لك مثل الذى حدث له؟ هكذا الخاطيء هو فى وضع شبيه بهذا.

قال القديس الأنبا إشعياء :

الذى يلوم أخاه... أو يحتقره... أو يشى به قدام آخرين... هو إنسان قد صار بعيداً عن الرحمة.



حبيب القرآن محمد صلى الله عليه وسلم



إساءة إلى كثيرين

- ١ - إساءة إلى الله
- ٢ - إساءة إلى الذي يدين
- ٣ - خطية ضد المُساء إليه
- ٤ - الإساءة إلى السامعين
- ٥ - إساءة إلى آخرين لا تعرفهم

الإدانة خطية مركبة

- ١ - عدم المحبة
- ٢ - القسوة
- ٣ - الظلم
- ٤ - الكذب
- ٥ - عدم الاتضاع
- ٦ - ائثار الآخرين
- ٧ - الإهانة والتحقير
- ٨ - عدم اللياقة
- ٩ - الحكم على النيات
- ١٠ - الرياء

كما تحدثنا عن الغضب (النفرة)، وقلنا إنه خطية مركبة، كذلك نقول عن خطية إدانة الآخرين، إنها غالباً ما تكون مجموعة خطايا مجتمعة ومركبة معاً تحت هذا الاسم. ونبدأ فنقول إنها:

أساءة إلى كثيرين

فهي تحمل إساءة إلى الله، وإلى الشخص الذى يدين غيره، وإلى المُساء إليه، وإلى السامع، وإلى كل من تصلهم هذه الإدانة ولو بطريقة غير مباشرة... فكيف؟

إساءة إلى الله

الإدانة هي عمل من أعمال الله، لأن الله هو الديان (مز ٥٠: ٦)، وهو «ديان الأرض كلها» (تك ١٨: ٢٥). وهو الوحيد الذى يستطيع أن يدين بعدل مطلق، لأنه فاحص القلوب والأفكار، ويعرف النيات والمقاصد، كما يعرف الخفيات والظواهر، وعلى علم بكل الملابسات والظروف المحيطة. وهو يعرف كل هذا معرفة يقينية لا شك فيها.

لذلك فالذى يدين غيره بغير حق، إنما يأخذ حق الله واختصاصاته، كما يمارس عملاً ليس فى حدود قدراته.

وهو بهذا يدين إنساناً قبل أن يدينه الله، وقبل أن يأتى يوم الدينونة الرهيب، فهو يحكم إذن قبل الوقت. كما أنه يدين عبداً لمولاه حق التصرف فيه. ومولاه هو الله.

يستثنى من هذا، الذين منحهم الله حق الإدانة، فقد قيل عن الحاكم مثلاً إنه «لا يحمل السيف عبثاً، إذ هو خادم الله منتقم من الذى يفعل الشر» (رو ١٣:

٤). وكذلك من اقيموا من الله للرعاية مثل الوالدين والآباء الروحيين ، وكل من هو في مسئولية ..

كذلك فإن الذى يقع في خطية الإدانة، إنما يكسر وصية الله الذى قال «لا تدينوا لكى لا تدانوا» (متى ٧ : ١). فهو إذن يخالف الله ، ويكون بهذا قد أخطأ إليه ، بالعصيان . وبالإضافة إلى هذا فإن خطية الإدانة :

٤. إساءة إلى الذى يدين

والذى يدين غيره ، ترتفع عنه النعمة والمعونة ، فيسقط . وذلك لكى تنسحق نفسه في هذا السقوط ، فلا يعود ويدين غيره . ولكى يشعر أنه معرض أن يسقط فيما سقط فيه أخوه ، لولا أن النعمة تسنده . فبقاؤه قائماً في الوقت الذى سقط فيه غيره ، ليس دليلاً على قوته الذاتية ، إنما هو راجع إلى عمل النعمة . فلا يتكبر ويدين أخاه ، لكيلا ترتفع عنه النعمة فيسقط . فإنه بهذه الإدانة يوقع نفسه في الحكم ، إذ أن الرب قد قال «لا تدينوا لكى لا تدانوا» لأنه بالدينونة التى بها تدينون تدانون . وبالكيل الذى به تكيلون يكال لكم» (متى ٧ : ١ ، ٢) .

إذن فالذى يدين غيره ، يعرض نفسه للدينونة .

وبنفس الكيل ، ليس أقل . بل ورد في الإنجيل لمعلمنا مرقس الرسول «يكال لكم ويزاد» (مر ٤ : ٢٤) . فالذى يقسو مثلاً في إدانته لغيره ، إنما يعرض نفسه لنفس القسوة وأزيد . وقد يتعرض لهذا الحكم هنا على الأرض كما هناك في السماء . مثال ذلك العبد الذى عامل بالقسوة رفيقه المدين له ، إذ قيل عنه في الإنجيل «فدعاه حيثئذ سيده وقال له : أيها العبد الشرير ، كل ذلك الدين تركته لك لأنك طلبت منى . أفما كان ينبغي أنك أيضاً ترحم العبد رفيقك كما رحمتك أنا . وغضب سيده وسلمه للمعذبين» (متى ١٨ : ٣٢ - ٣٤) .

قال أخ لشيخ «لماذا يا أبى شيطان الزنى يحاربنى بقسوة حتى أننى أسقط» . فأجابه الشيخ «ذلك لأنك تدين أخاك ، فتفارقك النعمة ، فتشعر بقسوة الحرب

وتسقط». ولعل الإنسان لأول وهلة يعجب قائلاً «وما علاقة الإدانة بالزنى؟» حقاً لا توجد علاقة مباشرة. ولكن هي هذه النتيجة: مفارقة النعمة لمن يدين غيره...

إذن لا تدن غيرك، ليس لمجرد الشفقة عليه، وإنما أيضاً إشفافاً على نفسك.

إشفافاً على نفسك من نتائج الإدانة بالنسبة إليك أنت. سواء تعرضك لتخلي النعمة هنا، أو تعرضك للدينونة هناك، أو مقاساتك من مرارة الخطية التي دنت أخاك عليها. كما حدث في قصة ذلك الشيخ الذي قسا في حكمة على شاب سقط في الخطية، فشككه حتى أخذ طريقه إلى العالم. وحينئذ سمح الله أن تقع نفس الحرب على هذا الشيخ ليقاسى في شيخوخته ما لم يجربه في شبابه.

كذلك الذى يدين غيره ، قد يعامله الناس بالمثل .

كما قيل في المثل «من غربل الناس نخلوه». فكثيراً ما يحدث للذى يعيب غيره، أن يُرد عليه بالمثل. وكما كشف ضعفات غيره، يكشف هذا الغير ضعفاته مدافعاً بأن الكل تحت الضعف: الذى يدين كالذى يدان منه.

إذن أنت إن دنت غيرك ، تتعرض لكشف ضعفاتك .

إما أن يكشفها من تسيء إليه، أو يكشفها أصدقاؤه وأحبائهم وكل المدافعين عنه. أو تنكشف ضعفاتك بأى سبب، بسماع من الله، حتى لا تعود تجلس في منصة القضاء تدين غيرك، كأنك بلا عيب. انظر ماذا قال الرب للذين دانوا المرأة الخاطئة المضبوطة في ذات الفعل.. قال لهم.

« من كان منكم بلا خطية ، فليرمها أولاً بحجر » (يو ٨ : ٧).

وورد في معاملة الرب لأولئك القساة الديانين أنه «انحنى إلى أسفل، وكان يكتب على الأرض» وقيل في التفسير إنه كان يكتب لكل واحد منهم خطيته، لذلك ورد بعدها «وأما هم فلما سمعوا، وكانت ضمائرهم تبكتهم، خرجوا واحداً فواحداً مبتدئين من الشيوخ إلى الآخرين» (يو ٨ : ٨، ٩). لذلك لما سمعوا عبارة «من كان منكم بلا خطية فليقذفها أولاً بحجر». وكان الرب يقول لهم:

بدلاً من أن تنظروا إلى خطية المرأة ، انظروا إلى خطاياكم .

مع أن المرأة كانت خاطئة فعلاً ، وهم لم يظلموها ولم يدعوا عليها إدعاءات باطلة لأنها «أمسكت في الخطية» أمسكت وهي تزني في ذات الفعل . ولكن السيد المسيح أراد هؤلاء أن ينظروا إلى خطاياهم ، وليس إلى خطية غيرهم .

الله هو وحده الديان ، أيضاً لأنه هو وحده القدوس (رؤى ١٥ : ٤) .

أما باقى البشر ، فينطبق عليهم المثل القائل «من كان بيته من زجاج ، فلا يقذف الناس بالحجارة» . ليتك تذكر نفسك بهذا المثل ، حتى لا يتهشم بيتك ...

ارحم إذن مادمت محتاجاً إلى الرحمة .

واستر على غيرك ، مادمت محتاجاً إلى الستر .

وبالكيل الذى تريد أن يكال به لك ، يمكنك أن تكيل لغيرك . أتريد سترأ ، إذن استر . أتريد أن خطاياك تظل مخفاة لا يعرف بها أحد ، إذن اعمل المثل ، واترك خطايا غيرك مستورة لا يعلم بها أحد ...

٣. خطية ضد النساء إليه

إنها إساءة لسمعته التى تلوكها الألسن وتصبح مضغة فى الأفواه . وهى حط لكرامته ، بينما يقول الكتاب «مقدمين بعضكم بعضاً فى الكرامة» (رو ١٢ : ١٠) .

وفيها الحديث عن أخطائه ، دون إعطائه فرصة للدفاع عن نفسه .

أو لتوضيح موقفه ، أو لشرح الأسباب التى دعت إلى التصرف هكذا ... وربما يكون كل ما يقال عنه شائعات لا صحة لها ...

وبفرض أنه أخطأ ، لماذا لا تستر عليه ؟

وقد قيل عن القديس مقاريوس الكبير أنه صار كملاك على الأرض ، لأنه كان يستر خطايا الآخرين ، ولا يدع أخطاءهم تنفضح أمام الناس . فإن كنت أنت لم

تستطع أن تستر على غيرك وتخفى فضائحه . فعلى الأقل لا تكن سبياً لنشرها بالأكثر
في محيط أوسع ، بالحديث عنها والحوار فيها ...

كذلك بنشرك لخطايا الغير ، إنما تعرقل طريق توبته ...

فالإنسان الذي لم ينفضح أمره ، يمكنه أن يتوب إذا أراد ، بعكس الذي تلاحقه
سمعته وأخطاؤه حيثما تذهب ... قد يجد صعوبة في أن يغير مسلكه ! وفي أن يصير
إنساناً جديداً .

وربما الحديث عن خطايا غيره يفقده ثقة الناس فيه ...

وهكذا لا يستطيع أن يستعيد مكانته في المجتمع ، ولا أن يكون علاقات طيبة
مع الشرفاء والحريصين ، ويصبح التعامل معه موضع شك بسبب ما قيل عنه ...

وعلى رأى القديس يوحنا ذهبي الفم :

« إن كنت لا تستطيع أن تسد فم من يتكلم على أخيه بالسوء ، فعلى
الأقل لا تتكلم أنت .

وأنت في خطية الإدانة لا تسىء فقط إلى الله وإلى نفسك وإلى المَسَاءِ إليه ،
وإنما أنت أيضاً تسبب في :

٤. الإساءة إلى السامعين

ما ذنب السامع إن كنت تسبب له عشرة ؟

وأنت تعرف ما قاله الرب عن صانعي العثرات : « ويل لمن تأتي بواسطته
العثرات . خير له لو طوق عنقه بحجر رحى وطرح في البحر ، من أن يعثر أحد هؤلاء
الصغار » (لوقا : ١٧ ، ١ ، ٢) .

ما ذنب السامع في أن تفقده بساطته وتسبب له أفكاراً ؟!

وهكذا تغير صورة الآخرين في ذهنه . وقد تثبت عنده هذه الفكرة التي غرستها
فيه من جهة الغير ، وقد تؤثر على علاقته به ومعاملته له ، دون أن يدري ذاك سبباً

لكل هذا !!! لماذا هذا الإيتلاف؟!

ولهذا قال الآباء : إن الذى يتكلم بالسوء على غيره ، يهلك أنفـس سامعيه ،
ونفسه أيضاً لا تفلت ...

وربما - دون أن تدري - تحمل إدانتك لغيرك إساءة أخرى .

٥- إساءة إلى آخرين لا تعرفهم

فكلام الإدانة الذى قلته ، ربما لا يصل إلى سامعيك فقط ، وإنما قد تتناقله
الألسن فينتشر وسط كثيرين لا تعرفهم ، وهؤلاء أيضاً بالمثل : تسبب لهم عثرة ،
وتفقدهم بساطتهم ، وتتغير علاقاتهم مع المُساء إليه ... وتتسع الدائرة ...

إن كلمة الإدانة التى تقولها ليست عاقراً ، فقد تلد بنين وبنات ، وقد
ينتشر نسلها فى أماكن متعددة ، وقد يأتى بنسل آخر من استنتاجات وأقاويل
وإضافات وفهم خاطيء .

وقد لا تلد كلاماً فقط ، وإنما أيضاً مشاعر وخلافات .

وأنت فى كل ذلك ، تحاول أن تحصر نطاق خطيتك فلا تستطيع ، وتحاول أن
تحصى عدد الذين أعثرتهم فلا تقدر ... إنهم إسماء تعرفها ، واسماء لا تعرفها ...

وإدانتك لغيرك قد تلد عند البعض إدانة لك .

لماذا يتكلم عن غيره بهذا الأسلوب ؟ ولماذا يمسك سيرة غيره ؟ ولماذا ينتقد هذا
الإنسان أو ذاك ؟ وما الدافع وراء كل هذا ؟ وهل كلامه حق أم مخترع ؟ وهل
يتكلم عنا نحن أيضاً بنفس الأسلوب ؟ وهل يمكن أن نسلم من لسانه أم سوف
يأتى دورنا ؟ وهكذا تتحول من مسيء إلى غيرك إلى مُساء إليه .

فالذين يسمعونك أو يصل إليهم كلامك : بعضهم سيصدق ما يسمعه ،
والبعض لا يصدق .

فالذين يصدقونك سوف تسوء سمعة ذلك الشخص فى نظرهم . والذين لا
يصدقونك ستسوء فى نظرهم سمعتك أنت . وفى كلا الحالين خسارة لك ولهم ...

الإدانة خطية مركبة

ليست الإدانة في جميع حالاتها حكماً بريئاً عادلاً، من شخص له سلطان أن يدين... وإنما قد تكون خطية حينما تصبح مجرد مسك سيرة، وإساءة إلى السمعة. وقد ترتبط بخطايا أخرى. وربما تكون لها خلفيات وأسباب.

وقد تكون أسباب الإدانة خطايا أبشع من الإدانة ذاتها.

فإدانة الآخرين لا تنشأ من فراغ، ولا بد من دوافع، أو عوامل مساعدة، علينا أن نعرفها ونتبعها ونعالجها... باحثين عن الخطايا المرتبطة بالإدانة. وقد لا تكون كلها مرتبطة بكل خطية إدانة، وإنما بعض منها مرتبط بمناسبة أو بشخص، والبعض بمناسبة أخرى وبشخص آخر. فما هي هذه الخطايا؟ إنها:

١- عدم المحبة

يقول الكتاب « المحبة تستر كثرة من الخطايا » (١ بط ٤ : ٨).

ولعل القديس بطرس اقتبس هذه الآية من سفر الأمثال، إذ ورد فيه « البغضة تهيج خصومات. والمحبة تستر كل الذنوب » (أم ١٠ : ١٢). وكما يقول المثل السائر « حبيبك يبلع لك الظلط، وعدوك يتمنى لك الغلط ».

إن كنت تحب إنساناً، فسوف لا تدينه، بل ستدافع عنه.

وكما قيل في المزمور عن الرجل البار إنه « لا يقبل عاراً على جيرانه » (مز ١٥ : ٣). فكم بالأولى يصنع مع أحبائه وأصدقائه وأقاربه...

الإنسان عادة يدين واحداً من اثنين :

فإما أنه يدين شخصاً لا يعرفه ، أو شخصاً عادياً لا تربطه به محبة ولا كراهية ، ولا تهمه سمعته في شيء إن ساءت أو ارتفعت في نظر الناس ... وطبعاً هذا الاتجاه هو ضد مبدأ المحبة من نحو الكل . إذ ينبغي أن تكون سمعة الناس - أياً كانوا - عزيزة في أعيننا ، فهم بشر وأخوة ، حتى إن كنا لا نعرفهم ، ولا نقابلهم بلا مبالاة ...

وإما أن تكون الإدانة مصحوبة بخطية حقد وكراهية نحو شخص يبغضه القلب ، كما كان النوع السابق مصحوبة بخطية اللامبالاة ...

والحقد أو الغيظ أو البغضة من الخطايا الصعبة التي ينبغي أن ينقى الإنسان قلبه منها . يقول القديس يوحنا الحبيب « كل من يبغض أخاه ، فهو قاتل نفس » (١ يوحنا : ٣ : ١٥) . ويقول أيضاً « وأما من يبغض أخاه ، فهو في الظلمة ، وفي الظلمة يسلك ، ولا يعلم أين يمضي ، لأن الظلمة أعمت عينيه » (١ يوحنا : ٢ : ١١) .

البغضة قد تكون أم الإدانة ، وهي أكثر شراً من إبتها .

إنها تلد الإدانة ، وتغذيها من شرها ، وتصحبها طوال الطريق . وبها تصبح خطية الإدانة مركبة [بغضة + إدانة] ، أو لامبالاة بمشاعر الآخرين وسمعتهم تلد عنها خطية إدانة . أما المحبة فهي بعيدة عن كل هذا .

فكم بالأولى إذا وصلت البغضة إلى حد الغيظ والحقد ؟!

وهنا تكون التركيبة قد ازدادت تعقيداً . فالبغضة ولدت غيظاً وحقداً . وهذان انجبا الإدانة . وبقيت البغضة تغذي الثلاثة !

والإدانة التي سببها البغضة ، إنما تخرج من قلب مسموم معكرو . وحتى لهجة الصوت فيها ، أو ألفاظ التعبير ، تحمل في طياتها ما في القلب من حقد .

وهذا يذكرنا بخطية أخرى قد تصحب الإدانة وهي :

٢- القسوة

هناك إدانات لا تصحبها قسوة ، مثل الإدانة التي هي مجرد ثرثرة أحاديث حول مسك سيرة الناس . وهذه قد تكون بأسلوب عادي ، وربما معه بعض التهكم والتفكه لتسلية الجلسة (!!) كما يظن هؤلاء ...

ولكن هناك إدانات معها قسوة في الحكم أو في الألفاظ .

مثل قسوة الكتبة والفريسيين الذي أتوا بالمرأة الخاطئة ، بعد فضحها أمام الناس . ولم يكتفوا بما سببوه لها من عار ، وإنما أرادوا أن ينفذوا فيها حكم الرجم حسب الشريعة (يو : ٨ : ٥) .

ومثالها قسوة الذين أدانوا السيد المسيح بحكم الموت .

واصروا على ذلك صائحين « اصلبه اصلبه » « دمه علينا وعلى أولادنا » (متى : ٢٧ : ٢٣ ، ٢٥) (مر : ١٥ : ١٣ ، ١٤) ، إلى جوار ما صحب هذه الإدانة من جلد ولطم وبصاق وأنواع استهزاء أخرى صادرة من قلوب قاسية .

وقد تكون القسوة في استخدام ألفاظ جارحة .

أو وصف الشخص المدان بأوصاف رديئة جداً ، وتهم تمس شرفه أو شخصيته أو عقليته . ولعل من الإدانة الجارحة كلمة « يا أحمق » الذي قال الرب إن عقوبتها نار جهنم (متى : ٥ : ٢٢) . وما أكثر الكلمات والعبارات التي يستخدمها الناس بنفس معنى كلمة (أحمق) ...

وقد تكون القسوة في أسلوب الشدة والعنف الذي يستخدمه أحدهم في الإدانة :

حيث يدين غيره بغضب شديد وعصبية ظاهرة ، وربما في ثورة وهو ساخط كل المسخط من تعديرات هذا الأخ التي يصفها بأعنف الكلمات ، مما يدل على قسوة شديدة داخل القلب .

وقد تبدو القسوة في عدم التماس أى عذر للذى يدينه .

وكذلك في عدم تقدير ظروفه النفسية أو الصحية أو الاجتماعية ، وما أحاط بتصرفه من ملائسات وأسباب . بل يصدر الحكم في اسلوب قاطع وهو يقول « مهما كانت الأسباب » ...

وقد تظهر القسوة في عقوبة شديدة يصدرها على من يدينه

وينفذها إن كان صاحب سلطان . أو يقترحها إن كان لا دخل له بالموضوع . ويقول في عنف : هذا الشخص يستحق كذا وكذا من الاحكام ... ولو كنت أنا المسئول لفعلت به كذا وكذا .. !

وغير البغضة والقسوة قد ترتبط الإدانة بخطية أخرى هي :



ليست كل إدانة عادلة . فهناك إدانات فيها ظلم :
كأن يدين الشخص غيره لمجرد السماع ، أو عن طريق الشائعات .

وقد يكون ما سمعه غير صحيح . وقد تكون الشائعات مفرضة ، أو خارجة من مصدر حاقد يريد التشهير . وربما يكون كل ما قيل عن هذا الإنسان مجرد اختراعات ، ولكنها انتشرت نتيجة تداول الكلام . وليس كل ما ينتشر يكون صحيحاً . ولا يصح الحكم على أساسه .

وربما يكون الظلم ناتجاً عن عدم التأكد وعدم التحقيق .

والمفروض أن المتهم برىء إلى أن تثبت الجريمة عليه . والمفروض في كل ما نسمعه عن أحد ، أننا لا نصدقه بسرعة وبدون فحص ، وبدون اعطائه فرصة ليحيب عن نفسه .

وقد ادين يوسف الصديق عن جريمة هو برىء منها كل البراءة ، واتهمته زوجة سيده ظلماً ، ومع ذلك ألقى في السجن وقد جرى عليه غضب سيده دون أن يتحقق

من صحة التهمة. وربما امتلأت المنطقة بكلام سوء عن يوسف نتيجة لما قالته الزوجة الشريرة. ولعله خلال السنوات التي قضاها في السجن كانت تلاحقه الإدانة الظالمة والسمعة الرديئة.

وقد يكون الظلم عن جهل كما فعل فوطيفار بيوسف. وقد يكون بمعرفة وبنية سيئة كما فعلت زوجة فوطيفار بهذا البريء.

وسواء كان الظلم عن جهل أو عن قصد سيء، فهو ظلم يلصق الإدانة بإنسان بريء. والظلم المقصود يقودنا إلى خطية أخرى قد ترتبط بخطية الإدانة وهي:

٤. الكذب

وهذا الكذب قد يكون كاملاً، أو عن طريق المبالغة.

والكذب الكامل هنا، يقصد به أن شخصاً يخترع كلاماً ضد آخر للإساءة إلى سمعته، وهو يعرف تماماً أن ما يقوله عنه هو محض افتراء. وطبعاً لا يفعل هذا إلا لو كان قد دفعه إلى الكذب شعور من الكراهية أو رغبة في الانتقام أو لون من الحسد. وهنا تكون خطية الإدانة مركبة من عديد من الخطايا.

وقد تصحب الإدانة بكذب جزئى هو نوع من تضخيم الواقع بأسلوب مسيء.

فقد يقع إنسان في خطأ دينى عن عدم فهم، فيقدمه آخر للسامعين على اعتبار أنه هرطقة أو فضيحة أو عار، ويضخم من قيمة الخطأ كما لو كان كفراً... ويفعل ذلك إما بسبب الرغبة في الإساءة، أو لأنه بطبيعته مبالغ في كل ما يتكلم عنه من أمور...

وربما يكون الكذب من اختراع المتكلم الذى يدين، أو يكون نقلاً عن آخرين...

وفى الحالتين كليهما - اختراع الكذب أو نقله - يكون الشخص المُساء إليه واقعاً تحت ظلم وهو بريء. والمفروض في ناقل الكذب أن يتحرى جيداً في تقبل

الخبر، وفي توصيله لآخرين، وقد لا يكون من حقه هذا التوصيل...

ننتقل إلى خطية أخرى ترتبط بالإدانة وهي :

٥. عدم الانضاع

دائماً الذى يدين غيره، يكون ناسياً خطاياہ الخاصة.

ولو افكر خطاياہ، ما كان يفكر فى خطايا أخيه، أو يتحدث عنها أو يعايرہ بها ! ولذلك فإن الكتبة والفريسيين لما كانوا ناسين خطاياهم أثناء إدانتهم للمرأة المضبوطة فى ذات الفعل، ذكروهم الرب بهذه الخطايا، فلما بكتهم ضمائرهم عليها، تركوا إدانة الخاطئة وانصرفوا (يو ٨ : ٩ - ١١).

فى عدم الانضاع، يظن الإنسان نفسه أفضل من غيره، فيدين هذا الغير.

ولذلك فإن الفريسي المتكبر أدان العشار فى الهيكل، لما رأى فى نفسه أنه ليس من الناس الظالمين الخاطفين الزناة، ولا مثل هذا العشار، ولما تذكر بره وصومه وعشوره (لو ١٨ : ١١، ١٢). أما العشار فكان منشغلاً بإدانة نفسه أمام الله، فلم يدين غيره.

تزيد الإدانة بواسطة الكبرياء، إذا ما قارن الإنسان نفسه بمن هو أقل

منه.

لذلك فإنه يدين هذا الذى هو أقل، كما أدان الفريسي العشار. أما المتواضع الذى يرى أنه أقل من الكل، فلا يدين غيره. كذلك بالكبرياء يظن أنه لا يمكن أن يسقط فيما سقط فيه هذا المدان. أما المتواضع فلا يعتبر أنه أقوى من أية خطية، بل يتذكر أن الخطية «طرحت كثيرين جرحى، وكل قتلها أقوياء» (أم ٧ : ٢٦) لذل فهو لا يدين غيره.

بل بالكبرياء يمكن أن الإنسان يدين من هو أكبر منه :

كما حدث أن مريم وهارون وقعا في إدانة أخيهما موسى النبي العظيم حينما تزوج امرأة كوشية . فكانت النتيجة ولذلك وبخهما الله ، وشرح لهما كيف أنهما أقل من موسى بكثير، حتى يعودا إلى اتضاعهما ، ويعرفا قدر هذا العظيم الذى يدينانه . وضرب الله مريم بالبرص ، فأخرجوها خارج المحلة سبعة أيام كنجسة ، حتى تتعلم الاتضاع فلا تدين من هو أكبر منها (عد ١٢ : ١٥) .

وكان سبب وقوع مريم وهرون في الإدانة هو عدم الاتضاع ، إذ قالوا « هل كلم الرب موسى وحده ؟ ألم يكلمنا نحن أيضاً » (عد ١٢ : ٢) . فكلهما الرب بتوبيخ ليعرفا قدرهما تماماً ...

في إدانة الآخرين خطية أخرى وهى :

٦- إعتار الآخرين

ونقصد هنا طبعاً الإدانة باللسان ، لأن الإدانة بالفكر أو القلب لا تعثر أحداً . أما الإدانة باللسان ، فتعثر السامع ، وتوقعه مع المتكلم في نفس الخطية . ويكون المتكلم الذى أدان غيره قد تسبب في سقطة أخيه ، ومحاسبه الله على هذه العثرة . وبقدر ما يزداد عدد الذين تعرضوا للعترة ، تكبر خطية الإدانة جداً ...

خطية أخرى ترتبط بخطية الإدانة وهى :

٧- الإهانة والتحقير

الإدانة هى بلا شك إقلال من شأن الشخص المدان .

لأنها تحكى عيوبه أو نقائصه ، خطاياه أو أخطائه . وهى على درجات في شدتها . وقد تصل أحياناً إلى الإهانة والشتيمة ، أو إلى التعمير والتحقير . وقد ينظر فيها الذين يدين نظرة استصغار أو احتقار إلى من يدينه ، مشعراً إياه بضآله قدره ، أو مبكثاً إياه بازدراء ، أو جاعلاً الآخرين يستصغرونه أو يفقدون احترامهم له .

وقد يجرحه بكشف أسرارهِ وخصوصياته أمام الناس .

وبحكي ما يعرفه عنه من أمور مشينة. وقد يزداد الأمر خطورة بأن يشعر السامعين أن هذا الشخص لا فائدة فيه، ولا اصلاح له، كأن قد حكم عليه بالضياع!

وهذه النقطة ترتبط بها نقطة أخرى وهى :

٨. عدم اللياقة

إذا قد يتحدث بعيوب الشخص أمام أعدائه فيشمتون به .

أو يزداد هجومهم عليه، إذ قد قدمت لهم مادة جديدة يحاربونه بها، وما أكثر ما يسبب له هذا الأمر متاعب واشكالات.

أو قد يذينه أمام مرءوسيه، أو ابنائه، أو أمام من هم أصغر منه، فتضيع هيئته أمامهم، ويفقد مركزه.

وكل هذه وأمثالها أمور غير لائقة، تضاف إلى خطية الإدانة، فتجعل حجمها أكبر ومسئوليتها أزيد.

وقد تختلط في كل ذلك بعدم الحكمة، أو عدم التقدير، أو عدم مراعاة شعور الآخرين. نقطة أخرى تحدث أحياناً وهى :

٩. الحكم على النيات

قد يصل الأمر بإنسان إلى أنه يدين نيات غيره ومقاصده، فيقول: هذا الإنسان نيته سيئة، وهو يقصد كذا وكذا من الشرور..!

بينما معرفة النيات والمقاصد هى من شأن الله وحده .

ولكن الامتداد في الإدانة جعله يدين النيات. وربما يقول إنه يفعل ذلك عن طريق الخبرة، أو عن طريق الاستنتاج. ولكن لا شك أنه لا شيء من كل هذا

مؤكد وما أسهل أن تكون كل استنتاجاته خاطئة، وفيها ظلم، وادعاء بمعرفة هو فيها «يرتضى فوق ما ينبغى» (رو ١٢ : ٣) .

الحكم على النيات ، حتى لو صحّ ، هو خطأ روحى .

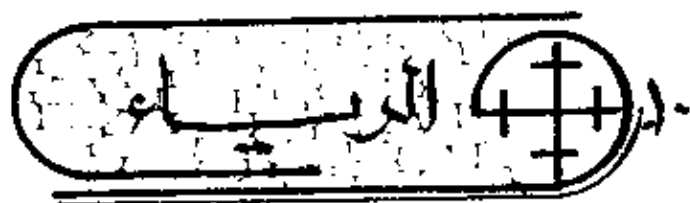
فكم يكون إذن من يدين مشاعر القلب ، ومن يدين أفكار الناس ، وهو لا يمكن أن يعرف المشاعر والأفكار، إلا عن طريق الظنون : وليست الظنون صادقة باستمرار...

بل يوجد من يدين حياة إنسان بالجملة، وطبيعته وخلقه ... وربما يدين مصيره أيضاً ...

قال أحد الشيوخ (فى بستان الرهبان) :

إن كان لا يعرف ما فى الإنسان إلا روح الإنسان الذى فيه (١كو ٢ : ١١) ، وإذا كنا نعرف أن كثيرين قد تابوا، دون أن نعلم نحن بتوبتهم، وإذا قد يتفق أن يتوب إنسان فى آخر حياته، ويقبل الله كالص، فسيبلىنا إذن أن لا ندين أحداً... فالديان هو الله وحده، فكيف يجروّ أحد أن يتدخل فيما هو خاص بالله ؟!

آخر خطية اتحدث عنها كخطية مرتبطة بالإدانة هى :

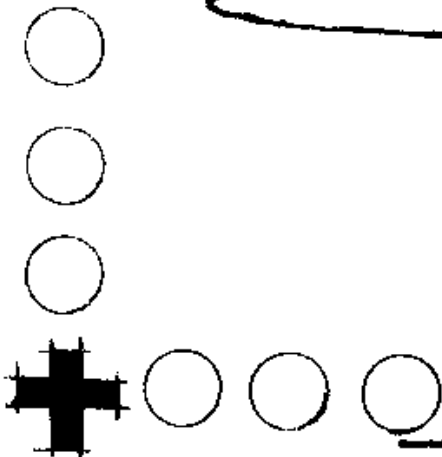


الشخص الذى يدين غيره على خطأ، وهو يرتكب نفس الخطأ أو ما هو أسوأ، يصفه السيد المسيح بالرياء .

فيقول له «لماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك، وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفتن لها ؟! ... يا مرائى، اخرج أولاً الخشبة من عينك، وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى الذى فى عين أخيك (متى ٧ : ٣ - ٥) .

إذن من الرياء أن ندين الناس على أشياء نحن نقع فيها خفية .

أو نحن نقع فى أمور أخرى، ربما تكون أكثر خطأ منها .



قال القديس دوروثيوس :

« الحكم على خليفة الله ، يليق بالله ذاته لا بنا »

« لأنه هو وحده العارف بسر كل إنسان وعلايته . وله وحده إصدار الحكم في كل أمر ، وعلى كل شخص » .

« الله وحده له الحق في أن يبرر أو يدين ، لأنه يعرف طبع كل إنسان وقوته » .

وهو أيضاً يعرف ميوله ومواهبه وتركيبه البدني ومقدراته .

لذلك فإن الله عندما يدين ، يدين بالعدل .

ولهذا قال الرسول لمن يتناول على عمل الله هذا : « من أنت أيها الإنسان ، يا من تدين عبد غيرك ؟ عبد هو لسيده ، يثبت أو يسقط . ولكنه سيثبت لأن الله قادر أن يقيمه » (روم ١٤ : ٤) .

وقال القديس دوروثيوس أيضاً :

« إن سم الإدانة أحياناً يخرج من إنسان ، لكي يصب في آخرين » .
نلاحظ أنه وصف الإدانة بسم ، أي إنها تمت من تصل إليه . وكأنه بهذا يشبه الذي يدين غيره بحية تنفث سمها ...

قال القديس ماراوغريس :

« لا تميز الذين سقطوا (من الذين لم يسقطوا) . ولا تترك فكر الكبرياء يقنعك بأن تكون دباناً » . وهنا القديس يربط بين الإدانة والكبرياء .

قال القديس الأنبا إشعياء :

« إذا أبصرت إنساناً قد أخطأ، فلا تحتقره، ولا تزدرِ به، لئلا تقع في أيدي أعدائك » .

حقاً، ماذا تريد أنت من وراء هذه الإدانة ؟ هل تريد أن هذا الشخص يكرهه الناس ؟ أم تريد أن الله يهلكه، ويجازيه بحسب أعماله الردية ؟ أمامنا قصة من البستان تلقى ضوءاً على هذا الأمر...

* * *

قصة من البستان :

قيل إن راهباً كان مقصراً في عبادته ومتهاوناً... فلما جاءت ساعة الوفاة، اجتمع الرهبان حوله، لكي يروا كيف سيقابل الموت... فوجدوه فرحاً!!

فقال له أحد الشيوخ «تشدد أيها الأخ باسم المسيح وقل لنا ما الذي يفرحك ؟»

فأجابه ذلك الأخ: إننى رأيت أناساً مقبلين لأخذ نفسى، ورأيت صك خطاياى. وقالوا لى «هذه خطاياك». فقلت «خطاياى أنا أعرفها ولا انكرها. ولكننى منذ ترهبت، وأنا لم أدن إنساناً. وأريد أن تنفذ فى الآية التى تقول «لا تدينوا لئلا تدينوا». فكيف أدان، وأنا لم أدن أحداً؟!». ولما قلت هذا تمزق صك خطاياى.

هذا الراهب لم يكن يعيش فى الخطية، إنما كان مهملاً فى عبادته. ولكنه كان طيب القلب، لا يغضب على أحد، ولا يدين أحداً، ولا يتكلم بالشر على إنسان. كان متضع القلب.

واستطاع باتضاعه وعدم إدانته لغيره، أن يخلص...

بالدقة فى تنفيذ هذه الوصية، أمكن أن ينجو من الدينونة التى كان يمكن أن تحل به بسبب تهاونه.

وقال القديس ايريس :

إنه جيد أن يأكل الإنسان لحماً، ويشرب خمرًا»

« ولا يأكل لحوم الأخوة ويشرب دماءهم بالوقية »

لقد شبه الإدانة بعملية افتراس للآخرين ، افتراس لسمعتهم وكرامتهم . وقال إنه خير للإنسان أن يكون مفطراً ولا يدين غيره ، من أن يصوم ويأكل لحوم الناس بإدانتهم . وأكل لحوم الناس ابشع من أكل اللحم العادى ...

وقال القديس الأنبا مسرا :

« إن التعقل (التعفف) الذى هو أفضل من إمساك البطن ... والذى يجب أن تجذب إليه نفسك ، ألا تأكل لحم إنسان ولا تشرب دمه بالوقية »
إنه نفس تعبير القديس إيريس ...

ونفس التعبير يردده أيضاً ماراسحق اسقف نينوى

قال ماراسحق :

« إن الذى يصوم نفسه عن الأكل والشرب ، بينما يأكل لحوم الناس بالوقية ، فصومه باطل » .

وقال القديس ايريس أيضاً :

« كما أن الحية لما كلمت حواء ، أخرجتها من الجنة ... كذلك يشبهها ذلك الذى يقع بقريبه »

« ذلك لأنه يهلك أنفـس سامعيه ، ونفسه كذلك لن تفلت ... كما تفلت الحية نفسها من اللعنة » .

أى أنه يضيع نفسه ، ويضيع غيره معه .

أما ماراسحق أسقف نينوى :

فيرى أن الذى يدين غيره ، هو شخص فى المستوى النفسانى ، وليس فى المستوى الروحانى ، لذلك يدين الكل ، لأن فى قلبه شجرة معرفة الخير والشر ، يفحص بها أعمال الناس هل هى خير من شر . وهكذا يقول ماراسحق :

« النفسانى هو قاض للأبرار والخطاه ، وديان للأحياء والأموات . ومنصوبة فى قلبه شجرة معرفة الخير والشر ، التى مُنِعَ رأس جنسنا آدم من أن يدنو منها أو يذوقها لئلا يموت » . هذا تغتذى معرفته منها فى كل وقت .

إنه إنسان شغوف بحبة القضاء . وكل الذين يقابلهم يضعهم فى ميزان معرفة الخير والشر ، ليس الأحياء فقط بل الأموات أيضاً ...

« وبنفس الوضع يتكلم مارأوغريس ، فيقول :

« لا تتكلم بالشر على الذى مات ، لئلا تكون دياناً للأموات أيضاً » ...

لأن الذى يفعل هذا يأخذ مكانة السيد المسيح الذى قال عنه إنه يأتى « ليدين الأحياء والأموات » .

حقاً ، كم يحدث أن إدانتنا لا تقتصر على الأحياء فقط ، بل كثيراً ما ندين الأموات أيضاً ، الذين ربما يكونون قد تابوا قبل موتهم ومحا الله خطاياهم ، ولم يعد يذكرها حسب وعده القائل « لأنى اصفح عن إثمهم ، ولا أذكر خطيتهم بعد » (أر ٣١ : ٣٤) .

الله لا يذكر تلك الخطايا ، ونحن نذكرها !!

حقاً إن فى ذلك لعجباً ... ذاكرة الإنسان أحياناً تتعب وتتعب غيره . وكذلك لسانه ، يتعب ويتعب غيره ...

يضع الإنسان نفسه رقيباً على أعمال الكل ! بعين نقادة ، وفكر لا يهدأ ، ولسان يستطيع أن يجرح .

بينما القديسون منعوا الإدانة ، مهما كانت الأسباب .

قال القديس الأنبا أنطونيوس :

لا تعير أحداً مهما كانت الأسباب . ولا تفتّر على أخيك ، ولو رأيت عجزاً عن إتمام جميع الفرائض .

وقال القديس الأنبا باخوميوس :

« لا تحتقر أحداً من الناس ، ولا تدنه ، ولو رأيت ساقطاً في الخطية » .

ولعل تعليم الإنجيل يؤكد لنا هذه القاعدة ، وذلك في :

قصة المرأة المضبوطة في الفعل :

إن الذين ضبطوها وأتوا بها إلى الرب للحكم عليها بالرجم ، لم يدعوا عليها ظلماً ، ولم ينسبوا إليها ما لم تفعله ، فقد كانت فعلاً ساقطة في الخطية . ومع ذلك منعهم السيد من إدانتها ، وحول تفكيرهم إلى خطاياهم هم ، قائلاً « من كان منكم بلا خطية ، فليرمها أولاً بحجر » (يو : ٨ : ٧) .

وأعطانا درساً أن لا ندين أحداً ، حتى لو رأينا ساقطاً في الخطية .

نحن أيضاً ساقطون في خطايا كثيرة ... ولا يجوز لمريض أن يعير مريضاً آخر بمرضه ، وكلاهما تحت الألم . إنما الأفضل ستر الناس وليس كشف عيوبهم ، فنحن أيضاً لنا عيوب ...

قال القديس يوحنا ذهبي الفم :

« إن كنت لا تستطيع أن تستر أخاك ... وأن تأخذ خطيته وتنسبها إلى نفسك ، وأن تموت عنه ، فعلى الأقل ... لا تدنه » ... وقال ذهبي الفم أيضاً :

« إن كنت لا تستطيع أن تسكت فم الذي يتكلم بالشر على أخيك ، فعلى الأقل لا تفتح فمك أنت بالشر عليه » .

أى أن الوضع الأمثل هو أن تمنع السمعة الرديئة من أن تصل من الآخرين إلى أخيك . فإن لم تستطع ، فعلى الأقل لا تشاركهم في إدانته . وبالأحرى لا تبدأ أنت حديث الإدانة ...

قال القديس بولس السيناى :

« تنهد على قريبك إذا أخطأ ، كما تنهد على نفسك ، لأننا كلنا تحت الزلل » .

ذلك لأنك بهذا تعامله بترفق المحبة ، وليس بقسوة الحكم . إنه أخوك وقريبك مهما سقط . إن الآب السماوى قال فى رجوع ابنه الضال «ابنى هذا كان ميتاً فعاش ، وكان ضالاً فوجد» (لوقا : ١٥ : ٢٤) . وهكذا دعاه ابنه على الرغم من الموت ومن الضلال فكم بالأكثر تعامل أخاك ... على أننا نلاحظ ملاحظة هامة فى هذه القصة وهى :

الآب السماوى غفر لهذا الإبن ، وأخوه لم يغفر !!

بل رفض أن يدخل ، ورفض أن يشترك فى الفرحه بعودته ، وأدانه مع الآب قائلاً «إبنك هذا الذى أكل معيشتك مع الزوانى» (لوقا : ١٥ : ٣٠) .

عجيب هو الرب فى محبته وعطفه ... هو الذى يغفر ، مع أن له كل الحق . ونحن الذين ندين ، ولا حق لنا !

قال القديس انسطاسيوس :

« لا تكن دياناً لأخيك ، لتؤهل أنت للغفران . لأن الرب يقول : لا تدينوا لكى لا تدانوا » .

نعم بكيلى المغفرة والرحمة الذى نكيل به للآخرين ، يكال لنا فى يوم الدينونة

إن عدم الإدانة عامل مساعد على نوال المغفرة . لكن يشترط طبعاً الإيمان والتوبة ...

قال ماراسحق :

« احذر من أن تكون جالساً وتفكر في أخيك بالشر، فإن هذا يقلع جميع بنيان برج الفضيلة من قلبك ... حتى إن كنت قد وصلت إلى حد الكمال ... »

ويعلل ماراسحق هذا بقوله «ذلك لأن الهذيد في الأفكار الردية يقسى القلب» ...

ويقول أيضاً: غطّ على أخيك الخاطيء، وقوّه من غير أن تشمئز منه، لكيما تحملك رحمة سيد الكل».

أى أن الرحمة التى نقابل بها الخطاه، تؤهلنا لأن ننال رحمة من الله، عملاً بقول الرب: «بالكيل الذى به تكيلون، يكال لكم ويزاد» (مر ٤ : ٢٤).

وقال ماراسحق أيضاً :

اسند الضعفاء وصغيري القلوب والنفوس بكلمة ... فتسندك اليمين التى تحمل الكل ... كن شريكاً للمجوعين بقلوبهم، بصلاتك الحزينة وبتنهّد قلبك ... لكيما يفتح لسؤالك ينبوع الرحمة».

وقال أيضاً : « لا تمقت الخاطيء، لأننا كلنا خطاه آثمون. وإن تحركت عليه من أجل الله، فابك عليه، وصلّ من أجل نفسه».

وهكذا يضع الآباء الرحمة في موضع الإدانة .

ويأمرون بالصلاة من أجل الخاطيء بدلاً من اساءة سمعته .

وليس هذا من أجله فقط، بل أيضاً من أجل أنفسنا .

حتى لا ندان بسبب إدانتنا، بل على العكس يعاملنا الله بالرحمة بسبب رحمته وفى هذه النقطة اتفقت أقوال القديسين :

قال القديس الأنبا أنطونيوس :

« لا تدن غيرك لئلا تقع في أيدي أعدائك » .

« وتفعل الخطايا القديمة التي تركتها » .

أن أن الله إذا رآك قاسى القلب في أحكامك على الناس ، يسمع أحياناً أن تجرب بقسوة الحروب التي يعانونها من أعدائهم الشياطين . حتى إذا ما سقطت ، تعود وتشفق على غيرك ، ولا تدين ...

وقال أيضاً : إياك أن تعيب أحداً من الناس ، لئلا يبغض الله صلاتك » .

حقاً ، ما أصعب هاتين النتيجةين اللتين تنتجان عن إدانة الآخرين حسب تعليم أبينا القديس الأنبا أنطونيوس :

أ - أن تسلم لأيدي أعدائك ، وتفعل الخطايا القديمة .

ب - أن يبغض الله صلاتك .

ولماذا يبغضها ؟ لأنها ليست صادرة من قلب محب .

ونفس هذا التعليم نسمعه من القديس الأنبا إشعياء المتوحد :

وقال القديس دوروثيوس :

من دان في قلبه ، وتحدث بسيرته على لسانه ، تتخلى عنه المعونة الإلهية ، فيسقط فيما دان أخاه عليه » .

وقال القديس مقاريوس الكبير :

« احفظوا ألسنتكم ، وذلك بأن لا تقولوا على أخوتكم شراً ... لأن الذى يقول

على أخيه شراً ، يبغض الله الساكن فيه » .

« وما يفعله كل واحد برفيقه ، فبالله يفعله » .

قصة من البستان :

في إحدى المرات أتى الأب اسحق القس التبايسى إلى مجمع الشركة، وأدان أحد الأخوة على فعل أتاها. فلما عاد إلى قلايته في البرية، أتاها ملاك الرب ووقف أمام باب القلاية، وقال له : إن الله ارسلنى إليك لكى أسألك :

« أين تريد أن تلقى بنفس هذا الأخ ؟ »

وحيث أن الأب اسحق بالخطأ الذى ارتكبه... أنه لا يريد طبعاً أن تلقى نفس ذلك الأخ إلى الهلاك ! فتأب لوقته وقال للملاك « أخطأت، فليغفر لى الرب بصلاتك ». فقال له الملاك « قد غفر الله لك ولكن عليك أن تحفظ نفسك، ولا تدن إنساناً قبل أن يدينه الله ».

* * *

قال القديس الأنبا بيمن :

« قد تجد إنساناً يُظن به أنه صامت. لكن فكره يدين آخرين. فمن كانت هذه صفته، فهو أبداً يتكلم ».

ويقصد القديس أن الإدانة ليست باللسان فقط، إنما بالفكر أيضاً. وصمت اللسان وامتناعه عن كلام الإدانة، لا يمنع أنه واقع فيها بالفكر.

ومع ذلك فالإدانة بالفكر أقل دينونة من الإدانة باللسان.

وذلك لأمرين : أولهما أنك بسقطة الفكر لا تعثر سامعين.

وثانيهما أنك لا تسيء إلى سمعه غيرك. فسقطة فكرك قاصرة عليك وحدك، وليس لها نتائج خارجك، إلا إذا تطورت ووصلت إلى اللسان.

* * *

وقال أحد الآباء :

إن رأيت شخصاً بخطيء اليوم، فلا تتكلم باكر في إدانته، لأنك لا تعرف، ربما رجع في هذه الليلة، وبكى على خطيته وتاب، ومحاها له الله...

وقال القديس مقاريوس الكبير:

لا تضعوا في ذهنكم، ولا تقبلوا في فكركم أن إنساناً ما شرير. لأن بطرس الرسول يقول «قد أرانى الله أن لا أقول عن إنسان ما أنه دنس أو نجس» (أع ١٠ : ٢٨).

قال القديس مارافرام:

إن التلذذ بعيوب الآخرين، يدل على أننا ممتثلون بغضه.

وقال كذلك «من يشمت بسقطة أخيه، يسقط هي أيضاً سقطة مثلها». وقال «لا تترفع على أخيك في ذهنك، لأنك لا تعلم ماذا سيحدث في اليوم المقبل. فمن الجائز أنه يتوب وتسقط أنت».

وقال مارافرام أيضاً: إن الذى يسب رفيقه له صفتان: الوقعة والبغضة «ومثل هذا يعتبر فاقداً للتحن وعادماً للرحمة».

وقال: لا تكن دياناً لغيرك، لأن كل واحد منا سيعطى اجابة عن أعماله. وأنت سوف لا تعطى اجابة عن أعمال غيرك».

وقال القديس سمعان العمودى:

إن وجدت واحداً من أخوتك قد مال قليلاً، فلا تقطع رجاءه. لأن الكتاب يقول «عزوا بعضكم بعضاً» (١ تس ٤ : ١٨). «المنتظر منك أن تقيم الإنسان الساقط، لا أن تقضى عليه».

وقال القديس سمعان العمودى أيضاً «إن كنت تدين أخاك، فماذا تقول لك عن نفسك».

قال القديس الأنبا بيمن:

إذا دنا أنفسنا، لا يبقى لنا وقت ندين فيه الآخرين.

قال ماراسحق :

« لا تدن غيرك ، لئلا تُمتحن بما أمتحنوا به »

أى لكى لا تقع فى نفس الحرب الروحية الصعبة التى تعرضوا لها . وهكذا توقع نفسك فى التجارب .

وقال أيضاً « اذكر أنك من الطبيعة الأرض ، مشترك معهم فى جسد آدم ، وفى نير هذه الطبيعة » .

وقال ماراسحق أيضاً :

« الإنسان البعيد عن ذكر الله ، هو المهتم بقول السوء على أخيه » .

أى أن الإنسان إذا كان منشغلاً بالصلاة والتأمل ، وقراءة الكتاب ، والمداومة على ذكر الله فى قلبه ، لا يبقى لديه وقت يتفرغ فيه لذكر أخطاء الناس . أما الإنسان المقصر فى عبادة ، فإن الفراغ يساعده على كلام الإدانة .

قال القديس يوحنا القصير :

كن حزيناً على الذين هلكوا . وكن رحيماً على الذين سقطوا .

لعله يشبه هذا بما قاله القديس بولس الرسول فى رسالته إلى العبرانيين « اذكروا المقيدون ، كأنكم مقيدون معهم . واذكروا المذلين ، كأنكم أنتم أيضاً فى الجسد » (عب ١٣ : ٣) .

نعم ، ليس المفروض أن ندين الساقطين ، بل أن نقيمهم .

وفى ذلك يقول الكتاب « شددوا الأيادى المسترخية ، والركب المرتعشة ثبتوها » (أش ٣٥ : ٣) . وأيضاً يقول الرسول « شجعوا صغار النفوس . اسندوا الضعفاء . تأنوا على الجميع » (١ تس ٥ : ١٤) .

قال « اسندوا الضعفاء » ولم يقل أن تدينوهم أو تحتقروهم أو تشهروا بهم أمام الآخرين .

وقال ماراسحق :

« الذى ينظر الحشبة التى فى عينه ، لا يتفرغ لأن ينظر القذى الذى فى عين أخيه » . وقال أيضاً :

« الذى يعتنى بأن يقوم فى ذاته المناقص التى تظهر له فى الآخرين الذين هو سالك بينهم ، هذا قد وجد مرآة روحية داخل نفسه » .

أى أننا عندما نرى خطأ ما يرتكبه البعض ، نفحص أنفسنا جيداً ، ربما نرى هذا الخطأ فينا ، فتعالج فى أنفسنا ما نرى غيرنا يدانون عليه .

وهذا المعنى نفسه رده القديس مارأوغريس .

قال القديس مارأوغريس :

« الذى يفحص نقائص الآخرين ، هو لم يفحص بعد أعماله الخاصة بحرص . لأنه لو فحص نفسه جيداً ، لوجد أن العيب الموجود عند الناس ، هو موجود عنده أيضاً » .

وهذا المعنى ليس فقط لماراسحق ومارأوغريس ، وإنما :

قال الأنبا ميلوس :

« إذا نظرنا فى أمور أنفسنا ، ندين آخرين . لأن أموراً كثيرة هى فينا ، ونحن نلوم بها غيرنا » .

وقال أحد الآباء :

إن الله هو الديان . وقد أعطى الدينونة كلها للإن (يوحنا ٢٢ : ٢٢) . ومع ذلك قد أجل تلك الدينونة إلى اليوم الأخير الذى يأتى فيه فى مجده ليدين الأحياء والأموات . فلماذا تتعجل الأمر ، وتبدأ أنت فى الدينونة من الآن .

وقال القديس مقاريوس الكبير:

« احفظوا ذواتكم من كلام النميمة والوقيعة ، لكي تكون قلوبكم طاهرة . لأن الأذن التي تسمع النميمة ، لا تستطيع أن تحفظ طهارة القلب بدون دنس » .

أى اجعل أذنك نظيفة ، لكي يصير قلبك نظيفاً ، لأن الأذن توصل إلى القلب .
فإن كان الذى يسمع فى خطر ، فكم بالأكثر الذى يتكلم ؟ وكم بالأكثر الذى ينقل الكلام الردىء .

وماذا عن الذى يسىء العلاقات بين الناس بما ينقله من كلام ؟ لاشك أنه يكون بعيداً عن الله ، لأن الكتاب يقول « طوبى لصانعى السلام ، لأنهم يدعون أبناء الله » (متى ٥ : ٩) . فالذى لا يصنع سلاماً ، بل يصنع خصومة ، ليس هو ابناً لله .

* * *

سئل القديس يوحنا الأسبوطى :

هل الذى يدين الشر هو الذى يبخسه ؟

فأجاب : كلا لأن كل الناس تقول إنها تبغض الشر . وإنما أعمالك هى التى تثبت أنك تكره الشر .

* * *

وقال القديس أوغسطينوس :

إن الإنسان الذى استطاع أن يروض الوحوش ، لم يستطع أن يروض لسانه (كما قال معلمنا يعقوب ٣ : ٨) .

من ذا الذى لا يخاف من قول الرب : من قال لأخيه يا أحمق ، يكون مستحقاً لنار جهنم » .

* * *

علاج اللواتي

- تعود احترام الناس .
- معالجة مشكلة الفراغ .
- البعد عن سماع الإذاعة .
- الاتضاع ولوم النفس .
- حجة اصلاح الآخرين .
- تداريب أخرى كثيرة .

٤١ بتعود احترام الناس

إن عرفنا أسباب الإذانة، يمكن أن نعرف علاجها. وأول سبب هو أن الإنسان يبيع لنفسه أن يخوض في سمعة الآخرين، ويجرح بهذا كرامتهم.

إذن عليك أن تتعود إكرام الناس ومحبتهم، سواء في حضورهم أو غيبتهم.

عود نفسك عدم الإساءة إلى أحد، سواء في الحديث معه، أو في الحديث عنه. إن كانت لديك كلمة طيبة، قلها. وإلا، فالأصلح أن تصمت... تعود عدم إهانة أحد، وعدم الحديث عنه بالسوء. ولا تضع أحداً على ميزان النقد، ولا تشرح شخصيات الناس. وفي هذه الحالة لن تدين أحداً.

إن الشخص الذي تعود احترام الغير، لا يمكن أن يدين الغير.

في الحياة الاجتماعية يلقبون هذا الشخص بأنه «إنسان مهذب». يكلم كل أحد بلياقة وباحترام وبأسلوب لطيف. ولا يعرف العيب طريقاً إلى لسانه. فلسانه لم يتعود أن يهين أحداً، ولا أن يتكلم على أحد كلمة سوء، وبالتالي لا يدين أحداً.

انظر ماذا يقول القديس يعقوب الرسول عن هذه النقطة بالذات في حديث عن أخطاء اللسان:

« به نبارك الله الآب. وبه نلعن الناس الذين قد تكونوا على شبه الله »
(يع ٣ : ٩).

فاعتبر أن خطية الإذانة لعنة، وإنها لعنة ضد أناس خلُقوا على صورة الله وشبهه ومثاله (تك ١ : ٢٦، ٢٧). وتابع الرسول كلامه معاتباً فقال «من الفم الواحد، تخرج بركة ولعنة! لا يصلح يا أخوتي أن تكون الأمور هكذا» (يع ٣ : ١٠).

إن كان الرب يقول « باركوا لا عنيكم » (متى ٥ : ٤٤) ، فهل نحن نلعن أخوتنا ؟!

وهذا الكتاب يقول « باركوا ، ولا تلعنوا » (رو ١٢ : ١٤) .

ليكن فمك إذن نقياً ، وليكن لسانك طاهراً عفيفاً ، تخرج منه كلمات البركة ، ولا تخرج منه كلمة إدانة : شتيمة كانت أم لعنة أم إهانة ...

تدرب أنك لا تتكلم إلا عن فضائل الناس بقدر استطاعتك .

ركز على النقط البيضاء التي في حياتهم ، واترك الباقي . حاول أن تتناساه . أما الأشخاص الذين اسودت صورتهم في ذهنك جداً ، وصاروا مثل « اسكندر النحاس » عند بولس الرسول (٢تى ٤ : ١٤) ، فالأفضل أنك لا تأتي بسيرتهم على لسانك ، أقول أيضاً « على قدر طاقتك » ... إلى أن يصلح الله أمرهم ، إن أمكن ذلك ، وحينئذ ستتغير صورتهم في فكرك ..

يستثنى من هذا أعداء الكنيسة وأعداء الإيمان .

أولئك الذين ينبغي أن تحذر الكنيسة منهم ، وتشرح أخطاءهم اللاهوتية حتى لا يقع أحد فيها . وعن مثل هؤلاء قال السيد الرب « احترسوا من الأنبياء الكذبة » (متى ٧ : ١٥) وأيضاً « احذروا من الناس » (متى ١٠ : ١٧) .

٤ معالجة مشكلة الفراغ

في كثير من الأحيان ، إذ لا يجد الناس موضوعاً يتحدثون فيه ، يكون حديثهم عن أخبار الناس وأخطائهم وفضائحهم وسقطاتهم .

وهكذا تكون سيرة الناس هي الموضوع الأساسي للحديث في البيوت ، وفي النوادي والمقاهي ، وفي كثير من الجلسات حيثما وجدت .

ليس لأنهم يريدون أن يدينوا غيرهم ، وإنما لأنهم لا يجدون موضوعاً آخر - غير أخبار الناس - يتحدثون فيه .

وقد يدينون رؤساء دول لمجرد قراءة أخبار تمسهم في الجرائد، دون معرفة مدى صحة هذه الأخبار!

أو يدينون شخصاً ذكرت الجرائد أنه قد قبض عليه في حادث معين. وربما تذكر الجرائد بعد شهر أن القضاء قد برأه، بعد تحقيق ما قد نُسب إليه. ولكن هذا الإنسان تكون سمعته قد وصلت إلى التراب خلال تلك الشهور. وربما يكون البعض قد قرأ خبر القبض عليه، ولا يكون قد قرأ خبر الحكم ببراءته...

ليت الناس يجدون مواضيع دسمة ومفيدة يشغلون بها وقت فراغهم.

يقيناً إن وجدوا هذا، لا يكون أمامهم مجال لشغل وقتهم بمسك سيرة الناس.

انظروا إلى طلاب الكليات والمعاهد والمدارس، في أيام امتحاناتهم، وهم مشغولون بالمذاكرة والمراجعة والاستعداد للامتحان، أتراهم لديهم وقت للحكايات، أو لتقليد المدرسين والتندر عليهم، أو للحديث عن أخبار زملائهم وأخطائهم وفضائحهم؟ كلا بلا شك، لأنهم مشغولون...

كذلك المرأة العاملة ليس لديها وقت كاف، للجلوس مع جاراتها والحديث عن أخبار باقي الجيران...

مع ما تحمل أمثال هذه الأخبار من التعرض لبعض الأخطاء وإدانتها. وإن وجدت وقتاً لهذا، يكون - بالمقارنة - أقل بكثير جداً من زميلتها التي لا تعمل، وأمامها فراغ طويل المدى لا تعرف كيف تقضيه، واحتمال الوقوع في مسك سيرة الناس، محتمل أمامها جداً ووارد...

ولكننا نقول إن الفراغ هو نصف السبب والنصف الثاني هو كيفية قضاء الوقت في هذا الفراغ.

فقد يستغل أحدهم الفراغ في قراءة مفيدة، ينتفع بها، وينفع بها غيره في أحاديثه معهم. والبعض قد يستغل الفراغ في عمل اليد، أو في التدريب على مهنة أو مهارة معينة، أو يستغل فراغه في خدمة الآخرين. أو في زيارة مريض، أو في تعزية حزين، أو في مساعدة محتاج.

وفي الاجتماع مع الناس ، ما أحوج الكل إلى موضوع نافع يتحدثون فيه .

ويمكن هذا ، إن قصد أحدهم هذا الأمر ، واستطاع أن يدير الحديث في موضوع نافع ، يكون قد درسه ، وأصبح مستعداً للكلام فيه ، والإجابة عن كل سؤال يدور حوله . وإدارة دفة الحوار بطريقة تفيد الكل . وذلك قبل أن يبدأ غيره في طرح سيرة توقع الكل في الإدانة ...

ويمكن أن يحدث هذا أيضاً في محيط الأسرة .

بطريقة بسيطة وتلقائية ، لا تشعر أحداً بأنه أمام مدرس أو محاضر... وذلك بطرح موضوع علمي ، أو ديني ، أو قصة أو خبر نافع ، أو اكتشاف مفيد ، أو ملخص لباب قرأه في أحد كتب الثقافة أو كتب التاريخ ، أو أمر جديد ممتع من أمور المعرفة ، أو بعض التسلّيات والألغاز حول الكتاب المقدس أو سير القديسين .

إن الجلسة العائلية تحتاج إلى استعداد ، وكذلك جلسات الأصحاب ...

أما ترك تلك الجلسات في فراغ ، فإنه يقود إلى أمثال هذه الإدانات ، أو إلى الثرثرة الفارغة التي هي مضيعة للوقت ، أو الحديث في أي منازعات قد تتحول إلى صياح وشجار . ذلك لأنه لا يوجد موضوع نافع يتحدثون فيه ، أو لا يوجد من يتولى دفة الحوار بمهارة .

ألا ترون أن السبب ليس مجرد فراغ في الوقت ، وإنما في الفكر أيضاً ...

ونعود إلى السؤال مرة أخرى : لماذا تمتلئ البيوت والنوادي والجلسات بمسك سيرة الناس ؟ ونجيب :

لأنهم في فراغ ، لا يجدون موضوعاً آخر يتحدثون فيه .



حاول بقدر إمكانك ، أن لا تسمع ما يقال عن أخطاء الآخرين .

ابعد عن المجالس التي تعرف أنها ستدور حول هذه الموضوعات وأمثالها . وإن اضطرت للجلوس ، فلا تجعل ذهنك مركزاً فيما تسمعه ، بل حاول أن تشغل نفسك بشيء آخر ، أو حاول أن تغير مجرى الحديث .

وما تسمعه عن أخطاء الناس ، لا تصدقه كله .

ربما الراوى الذى روى الحديث لم يراع الدقة ، أو ربما أن الخبر قد تناقل من شخص إلى آخر ، حتى وصل أخيراً بطريقة مختلفة عن الواقع . وربما أن الطرف الآخر له ردّ على كل هذا الذى يقال . ونحن لا نستطيع أن نحكم على أمر من جانب واحد . وقل لنفسك أيضاً :

حتى إن كان كل ما قيل صدقاً ، ما شأنى أنا به ؟

استخدم هذه العبارة « أنا مالى خلىنى فى حالى » .

اخبار الناس ليست من اختصاصى ، ولا أنا مسئول عنها أمام الله والناس ، وهذا الذى سمعته ، كأنى لم اسمعه ولا علمت به .

وهكذا لا تعاود التفكير فيما تسمعه من إدانات .

لأن التفكير يثبت الإدانة فى ذهنك ، وربما يتطور الأمر معك . فليكن ما سمعته إذن لا يعدو أن يكون كلاماً عابراً ، لا تعطه عمقاً فى داخلك . ولا تتحدث فيه مع آخرين ، ولا تنقله إلى أحد ، حتى لا يكبر حجمه ...

وحاول أن تصلى من أجل الشخص المدان ، ليستر الله عليه .

اطلب له المغفرة ، واطلب له الرحمة ، واسأل الله أن يصلحه . ولكن أياك أن تحتقره أو أن تدينه .

قال القديس الأنبا موسى الأسود « إياك أن تسمع بسقطة أحد أخوتك لئلا تكون قد دنته خفية .

* * *

٤٤٤ محبة إصلاح الآخرين

إن اتاك فكر أنك إنما تدين لأجل إصلاح الآخرين ، وبدافع من الغيرة المقدسة ، حيثذ قل لنفسك :

ليس من أجل إصلاح الآخرين ، أنا أخسر نفسي !

وقل أيضاً : هل أنا الذى أقيم نفسي مصلحاً للآخرين ؟ أم إننى مكلف بذلك رسمياً أمام الله ، بحيث يتعبنى ضميرى إن لم أفعل ؟ ثم هل وصلت أنا إلى المستوى الذى أصلح فيه غيرى ؟

وإن كنت قد أوثقت فعلاً على وكالة (١ كو ٩ : ١٧) ، فلتضع أمامك هذه القاعدة الروحية الهامة :

الذى يريد أن يصلح الآخرين ، ينبغي أن يصلحهم بطريقة صالحة .

ويأتى ذلك بالحب ، وبالاتضاع ، وبالكلمة اللطيفة الهادئة ، وعدم جرح شعور أحد فيما تريد صلاحه . وأيضاً عدم كشف عيوبه أمام الناس .

ولا يمكن أن تصلح أحداً بتغييره أو مسك سيرته .

وفى هذا الأمر ما أجمل قول الرب « فيما بينك وبينه وحدكما » (متى ١٨ : ١٥) . ويقول القديس يوحنا ذهبي الفم فى تأملاته حول هذه الآية « اسمعوا ما يقوله المسيح ... وبخه فيما بينك وبينه ، ولم يقل بينك وبين كل المدينة ، ولا بين كل الشعب ... إنه توبيخ فى السر ، لكى يكون الإصلاح سهلاً » .

والله يفعل معك مثل هذا ، فى السر أيضاً :

فهو حينما يريد أن يبيكتك على خطيئتك ويقودك إلى التوبة ، يفعل هذا فى سر من الأسرار الكنسية ، فيما بينك وبين كاهنه سراً ، وليس فى اعتراف علنى ...

وفي الدفاع عن الحق واصلاح الآخرين اذكر قول بولس الرسول :

« أيها الأخوة إن إنسيق إنسان ، فأخذ في زلة ، فاصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة ، ناظراً إلى نفسك لئلا تجرب أنت أيضاً » (غل ٦ : ١) .

وأيضاً قول القديس يعقوب الرسول « من هو حكيم وعالم بينكم ، فليبر أعماله بالتصرف الحسن في وداعة الحكمة . ولكن إن كانت لكم غيرة مرة وتحزب في قلوبكم ، فلا تفتخروا وتكذبوا على الحق . ليست هذه الحكمة نازلة من فوق ... » (يع ٣ : ١٣ - ١٥) .

نقطة أخرى وهى : عليك أن تختبر نفسك جيداً :

أحقاً أنت تدين من أجل اصلاح الآخرين ؟

هل دوافعك هى مجرد غيرة مقدسة خالصة ، غير مختلطة بمشاعر أخرى :

أم أن الدافع الحقيقى هو عدم محبة هذا الشخص ، وحقد مستتر ، أو شماته بإنسان مخطيء ، أو محاولة اظهار أنك تعرف أكثر ، وأنتك بالمقارنة أفضل ، وأنتك فى موقف المعلم والمؤدب والقائد ... ! اختبر نفسك جيداً .

وإن كنت فى غيرتك تدعى أنك تأخذ حق الله من الناس ،

فهل أخذت أولاً حق الله من نفسك ؟

هل بدأت باصلاح نفسك ، قبل أن تقوم باصلاح غيرك ؟ هل أصبحت « تبصر جيداً » (متى ٧ : ٥) بحيث تستطيع اخراج القذى من عين أخيك ، دون أن تتلف عينه ؟ على أنه فى موضوع اصلاح الآخرين ، نحب أن نضع أمامك :



لقد جاء الخدام إلى الرب يسألونه هل يذهبون فيخلعون الزوان من الحقل ، فأجابهم « لا ، لئلا تقلعوا الخنطة مع الزوان وأنتم تجمعونه . دعوها ينميان كلاهما معاً إلى يوم الحصاد » (متى ١٣ : ٢٨ - ٣٠) .

إن الله لا يريدنا أن نضيع جهودنا في خلع الزوان، بقدر ما يريدنا أن
ننمو كحنطة.

حتى إذا جاء يوم الحصاد، يجد سنابلنا مملوءة بثلاثين وستين ومائة، فتمتلئ
أهراؤه قمحاً...

كثيرون شغلوا أنفسهم بجمع الزوان، باسم الغيرة المقدسة والاصلاح. وبسبب
هذا أمتلأوا غضباً وعصبية وصياحاً. وملأوا الجو بالإدانة والانتهاز وتوبيخ
الآخرين، والحديث عن أخطاء الكنيسة والجمعيات والخدام والكهنة، بألفاظ كلها
قسوة، وخالية من الاحترام ومن الأسلوب اللائق المذهب.

ونظر الناس إلى هؤلاء (المصلحين) وصورتهم العصبية واساليبهم المهينة،
وقالوا: إنها تذكرنا تماماً بصورة الزوان.

نعم، أخشى عليك في جمع الزوان، أن تصبح أنت نفسك زواناً!
إذ تفقد وداعتك واتضاعك، وتتعلم الشتيمة والإهانة، ومسك السيرة، والتعالى
على الناس... كما تتعود قسوة القلب في احكامك، بل قد تكره البعض وتعاديتهم.
وتثور وتضج... عجباً اترك من أجل الرب في كل تلك الخطايا؟!

نعم احترس، لئلا فيما تخلع الزوان من الناس، تخلع أيضاً الحنطة التي فيك:
تخلع هدوءك، وسلامك القلبي، ودماثة خلقك. وتخلع أيضاً ثمار الروح التي عندك
« المحبة والفرح والسلام والوداعة واللفظ والتعفف » (غل ٥ : ٢٢).

ومع فقدك كل هذا تجد أنك لم تصلح أحداً!
وانك لا كسبت سماء ولا أرضاً، ولا كسبت قيادة الناس، إلى الملكوت،
ولا كسبت هدوءك وعلاقتك مع الناس على هذه الأرض. لا كسبت الناس، ولا
ربحت نفسك... لأن اصلاح الناس لا يأتي عن طريق الإدانة والتشهير...

يقول القديس أوغسطينوس :

« إننا عندما نفتاظ من الأشرار، فلسنا بعد سوى بشر. وعلينا أن نصغى إلى
قول الرسول: من يظن أنه قائم، فلينظر لئلا يسقط (١ كو ١٠ : ١٢) »

فلنكن نحن حنطة، ولا نضيع أوقاتنا في جمع الزوان. وإذا أردنا أن نجتمع زواناً، فلنجمع الزوان الذى فينا. لنجمع الحنطة التى فينا ونخرجها خارجاً.

لئلا فيما نحاول اصلاح غيرنا ، ننسى اصلاح أنفسنا .

عجيب أن كل أحد أصبح يقيم نفسه مسئولاً عن الناس !

يفكر فى الناس وأعمالهم ، وما ينبغى أن يصدر على أعمال الناس من أحكام !
أما نفسه فهى آخر ما يفكر فيه !

صدقونى إنها حرب من الشيطان أن يشغلنا عن أنفسنا ، بالتفكير فى خطايا الناس ، وأن يشغلنا عن التوبة ، بالتفكير فى أعمال الناس .

إن الله فى اليوم الأخير سوف لا يحاكمك على خطايا غيرك . إنما سيحاكمك عن أخطائك وحدك .

الأنضاع وإدانة النفس

يمكن معالجة خطية إدانة الآخرين ، عن طريق إدانة النفس ..

★ وقد شرح القديس مارأوغريس كيف أن كلاً منهما ضد الأخرى ، فقال :

« إن دنا أنفسنا ، وحكمنا على أنفسنا أننا أشرار ، يبدو الناس أمامنا أظهاراً وملائكة . وإذا دنا الناس وحكمنا عليهم بأنهم أشرار ، نبدو نحن أمام أنفسنا أننا ملائكة وقديسين » .

★ فى إحدى المرات مدح بعض الأخوة شخصاً أمام القديس الأنبا بيمن ، وقالوا فى سياق الحديث إنه يكره الأعمال الشريرة . فسألهم عن معنى عبارة « يكره الأعمال الشريرة » . فلما ارتبكوا فى الإجابة ، قال لهم : « كراهية الأعمال الشريرة هى كراهية الأعمال الشريرة التى نعملها نحن ، وليست الأعمال التى يعملها الناس » .

★ قال القديس الأنبا باخوميوس «إن الإدانة تأتي من تعظم القلب . أما المتضع ، فإنه يعتبر كل الناس أفضل منه» .
وقال القديس باخوميوس :

« احفظ نفسك من ذلك الفكر الذى يجلب عليك تركية ذاتك وازدراء أخيك ،
لأنه مغبوط جداً قدام الله ذلك الإنسان الذى يكرم غيره ويرذل نفسه »
لذلك كلما يأتيك فكر إدانة لأحد ، تذكر خطاياك . وقل : هذا الإنسان أبر
منى ، لأنى فعلت كذا وكذا . ولا يمكن أن يكون هو قد وصل إلى هذه السقطات
التي وقعت فيها أنا .
إنك إذا لم تفكر في عيوبك ، فسوف تقع في عيوب غيرك .

★ لذلك يقول مارإشعيا : إن تركت الاهتمام بخطاياك ولم تشغل بها ،
وقعت في خطايا غيرك .

★ سأل أحد الأخوة شيخاً من شيوخ الرهبنة «ما هو السبب في أنى أدين
الأخوة دائماً؟» . فأجابه الشيخ : لأنك لو عرفت نفسك ، لما تفرغت لغيرك . لأن
الذى يهتم باخراج الخشبة من عينه ، لا يتفرغ لاجراج القذى من عين أخيه .

ولهذا إن فكرت أن تدين إنساناً ، قل لنفسك «أنا أيضاً خاطيء» .
«إن فحصت نفسى جيداً ، ووجدت إننى بلا خطية ، فلا أقذفه بهذا الحجر...

★ في إحدى المرات طردوا أحاً من المجمع ، وأخرجوه خارجاً . فسأل القديس
بيساريون عن السبب ، فقيل له بسبب الخطية التي وقع فيها . فقام القديس
بيساريون وخرج هو أيضاً خارج المجمع ، وهو يقول : «وأنا أيضاً رجل خاطيء» .

★ ومعروفة قصة القديس موسى الأسود ، الذى دعى إلى المجمع لمحاكمة أخ
أخطأ . فحضر وهو يحمل على ظهره كيساً مشقوباً وملوءاً بالرمل . فسأله لماذا فعل
هكذا؟ فقال «هذه خطاياى وراء ظهرى تجرى ، وقد جئت لأدين أخى على
خطيئته !!» ...

★ أخ سأل الأنبا بيمن قائلاً «كيف استطيع أن لا أقع في الناس؟»

فأجابه : إذا لام الإنسان نفسه، فحينئذ يكون أخوه عنده أكرم وأعظم . أما إذا نظر إلى نفسه بأعجاب، يكون أخوه في نظره خاطئاً ومداناً .

★ قال ماراسحق : «مغبوط هو الإنسان الذى يكرم أخاه، ويدين نفسه . ومغبوط هو الذى يرى فى عيوب الآخرين سقطات نفسه» .

أى أنه كلما يرى عيباً فى الآخرين، يبحث داخل نفسه، فسيجد أن هذا العيب فيها . فيلوم نفسه بدلاً من أن يدين غيره...

وإذا رأى الناس يوبخون شخصاً على خطأ معين، يقول لذاته «هذا القلم على خدك يا ارسانى» .

تدريبات لمعالجة الإدانة

١ - درب نفسك على معالجة خطايا اللسان جملة...

فستجد أنك قد تخلصت من خطية الإدانة ضمناً . اسلك فى بعض تدريبات الصمت . أو فى تدريب عدم التدخل فيما لا يعنك، ولاشك أن خطية الإدانة ستكون ضمن تدخلك فى شئون غيرك .

هذا التدريب سوف يساعدك على مقاومة (الإدانة باللسان) . وسيكون خطوة فى مقاومة الإدانة بالفكر أيضاً بمرور الوقت، لأنه سيفرس فى قلبك البعد عن الإدانة .

٢ - تذكر قول الرب « اذكر من أين سقطت وتب » (رؤ ٢ : ٥)

وذلك بأن تجلس فيما بينك وبين نفسك، وتعرف من هم الأشخاص الذين تدينهم باستمرار؟ وما هى الموضوعات التى توقعك فى الإدانة؟ وما هى الجلسات أو الشخصيات التى تكون عثرة لك . ثم تحترس من جهة هذه المصادر التى تسبب لك فى إدانة الآخرين .

٣- يمكن معالجة الإدانة بالمحبة :

فإن كنت قد فقدتها بالنسبة إلى البعض ، أو فقدت بعضها ، فحاول بقدر إمكانك أن تسترجع ما فقدته . لأن الكتاب يقول عن المحبة إنها « لا تقبَح » « ولا تظن السوء ، ولا تفرح بالإثم » (١ كور ١٣ : ٥ ، ٦) ، وبالتالي لا تدين

وتأكد من أن الإدانة تزيد العلاقات سوءاً فبدلاً من أن تسترجع المحبة القديمة ، قد تزداد الهوة عمقاً بينك وبين الذى تدينه ، وبخاصة إذا كان هناك من يصلون الكلام ، ومن يزيدون عليه . وحتى بدون هؤلاء ، أمام ضميرك وقلبك لن ترتاح ...

٤- تذكر اضرار الإدانة عليك :

وما قاله القديسون من أنه بالدينونة قد تفارقك النعمة والمعونة الإلهية ، وهكذا تتعرض للسقوط . وكذلك ما قاله السيد الرب إنه بالكيل الذى به تكيلون ، يكال لكم ويزاد . كذلك ما توقعك فيه الإدانة من خطايا أخرى تصاحبها .

قال القديس بفتوتيس :

احذر أن تقول كلمة ردية على أخيك ، لكى لا يمنعك الله من أرض الميعاد ، وتحرم من أكل ثمرتها ... كما جرى مع شعب اسرائيل بالنسبة إلى موسى أبيهم ويشوع وكالب أخويهم .

وقال شيخ :

« إن خطية الوقعة من شأنها أن لا تترك صاحبها يحضر قدام الله ، لأنه مكتوب « إنى كنت اطرء من يغتاب قريبه سراً » (مز ١٠١ : ٥)

وابتعد عن الإدانة خوفاً من السقوط ، وخوفاً من العقوبة .

ولا مانع من أن تضع فى ذهنك بعض آيات الكتاب الخاصة بالإدانة : تحفظها وترددها ، وتأملها بين الحين والآخر .

٥ - تدرب أنك لا تظن السوء بالناس ، ولا تحكم حكماً سريعاً .

فقد يكون الظن السيء فيه ظلم ، وكذلك الحكم السريع . ولذلك لا تحكم على أحد دون فحص ، وبسرعة . بل تعود التروى والتأني في أحكامك عموماً ، سواء ما لك حق فيه ، وما ليس لك فيه حق .

واحترس من أن تلبس نظارة سوداء ، تنظر بها إلى الناس .

٦ - تعود الشفقة على الناس في أحكامك :

حاول أن تأخذ الجانب الذى يترأف ، وليس الذى يقسو . وفكر في قلبك ، ربما تجد عذراً يخفف من الحكم . وفي اشفاقك صلّ من أجل المذنب ، فالصلاة تزيد مشاعر الشفقة ، كما أن الشفقة تدفعك إلى الصلاة .

٧ - ولا تكون الإدانة حسب الظاهر :

ربما تجد رجلاً يبكى أمام كنيسة أو جمعية ويطلب مالاً لأنه لا يجد طعاماً لنفسه وأولاده ، ومع ذلك لا يعطيه أحد . فتقول « ما أقسى هؤلاء الناس الذين لا يرحمون جائعاً !! » بينما لو سألت لعلمت أنه يأخذ كثيراً ، ربما أكثر من حاجته ، ولا يكتفى . ويقوم بمثل هذا الموقف الباكي المستغيث لمجرد الاحراج والضغط أمام الناس ، لأخذ المزيد بدون استحقاق !

٨ - درّب نفسك أن تحتمل من يسيئون إليك :

فأحياناً عدم احتمالك لهم ، يجعلك تتبرم بهم ، وتشكوهم ، وتحدث عن أخطائهم أمام كل أحد ، وتدينهم بمقدار ما أنت متضايق منهم .

أعرف أننا لا نعيش في عالم كله مثالية . بل توجد أخطاء . وإن ثار قلبنا على كل خطأ ، وانتقلت الثورة إلى ألسنتنا ، فأخذت تدين وتنشر أخطاء الناس ، وتهدد

وتعاقب ... لاشك أننا أنفسنا لن نستريح ، كما أننا لا نريح أحداً .

كثير من أخطاء الناس ، تحتاج منا أن نجوز مقابلها ، ونغمرها بالصبر والاحتمال كأن لم نتحدث ، دون أن ندين أصحابها ...

* * *

٩ - احترس من إدانة شخص على عيب خلقى لا ذنب له فيه :

أو تجعله مجالاً للهزأة والاستهتار والتهكم بسبب شكله ، أو عقله ، أو تشويبه ، أو قصره ، أو سمته الزائدة ، أو ما شابه ذلك . لأنه ليس من العدل أن يحكم على إنسان بسبب شيء هو خارج إرادته .

* * *

١٠ - كن حريصاً جداً في الإدانة بطريق العتاب :

لأنه وإن كان الله قد صرح بالعتاب (متى ١٨ : ١٥) ، إلا أنه ليس كل إنسان يحتمل العتاب . وكم من عتاب أتى بنتائج سيئة جداً . ولذلك قال الكتاب «من يوبخ مستهزئاً يكسب لنفسه هواناً ، ومن يندر شريراً يكسب عيباً . لا توبخ مستهزئاً ، لئلا ييغضبك . وبخ حكيماً فيحبك» (أم ٩ : ٧ ، ٨) .

* * *

- ختاماً : لا تجعل خطية الإدانة تصبح طبعاً من طبائعك :

فهناك فرق بين الإدانة العابرة . والإدانة التي تصير منهج حياة ، أو صفة ملازمة للإنسان . حيثما يوجد يدين ويحكم ويتناول سير الناس بالنقد والتحليل ، بسبب وبدون سبب !!

* * *

الفهرست

صفحة

٥	قصة هذا الكتاب
٦	تمهيد
٧	الفصل الأول ... الإدانة غير الخاطئة
٨	١ - المسئولية والرعاية
١١	٢ - التمييز الطبيعي
١٤	٣ - مفهوم وصايا كتابية
١٦	٤ - إدانة الهرطقات والبدع
١٧	٥ - النصيح والهداية والتوبيخ
٢٣	٦ - النقد
٢٥	٧ - إدانة النفس
٢٦	من يبرىء المذنب
٢٩	شروط الإدانة غير الخاطئة
٣٠	لا تحكموا قبل الوقت
٣١	الحكم بالحق
٣٣	الفصل الثاني : أنواع إدانة الآخرين
٣٤	الإدانة بالفكر
٣٥	الإدانة باللسان
٣٦	الاغتياب
٣٦	التميمة

الفصل الثالث : خطية الإدانة خطية مركبة

الفصل الرابع : أقوال الآباء في الإدانة

أقوال لحوالى عشرين من الآباء

٧٩

الفصل الخامس : علاج الإدانة

٨٠

بتعود احترام الناس

٨١

معالجة مشكلة الفراغ

٨٣

عدم السماع

٨٥

حجة اصلاح الآخرين

٨٦

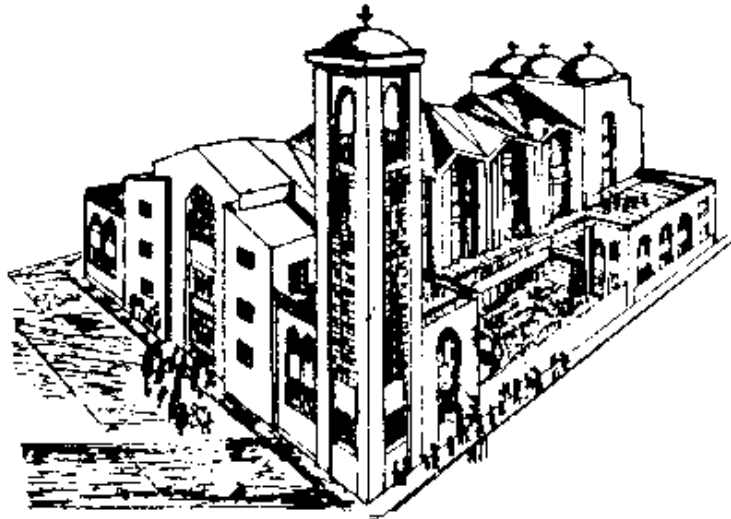
مثل الزوان والحنطة

٨٨

الاتضاع وإدانة النفس

٩٠

تدريب لمعالجة الإدانة



فصل الكتاب

بسم الآب والابن والروح القدس

الإله الواحد آمين

تقدم لك موضوع إدانة الآخرين ، في
بحث مفصل ، نكلى أعرف :

ما هي إدانة ؟

ومنى يجب ؟

ومنى تكون خطية ؟

وما هي أنواع خطية الإدانة ؟

وما هي الصور التي تصدر بها ،
سواء بالنفس أو بالفكر أو بالقلب ، أو
بطرفي الآخرين ؟ وما هي أضرارها ؟

وما هي الخطايا المصاحبة لخطية
الإدانة في غالبية الأحوال ، والتي معها
تصبح خطية مركبة ؟

ثم ماذا قال آباء الكنيسة في موضوع
الإدانة ؟ وما الذي نفهمه من أقوالهم ؟

وأخيراً ما هي الوسائل التي نعالج
بها خطية الإدانة ؟

شكوه الثالث